إيوجينيوس والعرش الإمبراطوري (٣٩٢- ٣٩٤م) بين رواية المؤرخ زوسيموس والدعاية الكنسية: دراسة نقدية

خالد عبد البديع رضوان محمود

مُلخص البحث:

شهد صيف عام ٣٩٢م إعلان إيوجينيوس إمبراطورًا على العرش الغربي عِدلًا للإمبراطور الشرقي ثيودوسيوس. لكن الأخير عدَّ ذلك خروجًا على الشرعية الحاكمة، الماثلة فيه هو نفسه، بحكم زواجه من "جالا" أخت الإمبراطور المتوفى "فالنتنيان الثاني". لذلك قاد جيشه إلى الغرب وهزم إيوجينيوس في خريف عام ٣٩٤م وقتله.

وقد تناول مؤرخ القرن الخامس "زوسيموس" هذه الأحداث في تاريخه الجديد Histoire Nouvelle باستفاضة، مع إضفاء نظرة ناقدة موضوعية عليها، الأمر الذي لم يألفه القارئ في مصادر القرنين الرابع والخامس الميلاديين التي تناولت الأحداث من وجهة نظر مُغرقة في العاطفة والانحياز الديني.

الكلمات المفتاحية: زوسيموس- أمبروز- إيوجينيوس- ثيودوسيوس- الوثنية- المسيحية- السناتو- نبلاء روما.

Eugenius and the imperial throne (392- 394 AD): Between the Narration of Zosimus and Church Propaganda: A Critical Study.

Khaled Abdel badea Radwan Mahmoud

Member of Department of History- SOHAG University.

Abstract: In the summer of 392 A D Eugenius was proclaimed as an emperor on the western throne, in front of the eastern emperor Theodosius. But the latter considered it a violation of the legal legitimacy. He considered that he is the legal legitimacy, because he married "Galla", sister of the deceased emperor "Valentinian II". Theodosius led his army on this basis and defeated Eugenius and killed him in September 394 AD.

Zosimus, a fifth-century historian, presented these events extensively in his New History. Zosimus was critical and objective. This was not seen in the sources of the fourth and fifth centuries AD, which dealt with the events in a dumped view of emotion and religious bias.

Keywards: Zosimus- Ambrose- Eugenius- Theodosius- Paganism - Christianity – Senate- Nobles of Rome.

أهمية الدراسة:

تُلقي هذه الدراسة الضوء على حادثة اعتلاء إيوجينيوس العرش الغربي سنة ٣٩٢م من خلال تاريخ زوسيموس، وأثرها في المصادر الكنسية. وقد وقعت الحادثة في فترة شهدت انقسام أوربا إلى عالمين متباينين: عالم شرقي وآخر غربي، غلب عليهما تدريجيًا التباعد في النواحي الدينية واللغوية والثقافية، ثم انتهيا إلى بونٍ شاسعٍ، ما جعل حالات الاستيلاء على العرش الغربي تتكرر في القرن الرابع.

وقد شهد هذا القرن أيضًا انتشار المسيحية بين رعايا الإمبراطورية. وشهد تغلب الكنيسة ورجال الدين على السلطة الحاكمة الذي بلغ أقصاه في إذلال الإمبراطور ثيودوسيوس على يد "أمبروز" أسقف ميلان في حادثتين معروفتين. وقد كانت أحداث هذا القرن تُكتب بأيدي مسيحية، غلب عليها العاطفة والتعصب الديني أكثر من الحيادية والموضوعية.

مما سبق تتضح أهمية رواية زوسيموس عن حادثة وثوب إيوجينيوس على العرش الغربي سنة ٣٩٢م؛ كونه المؤرخ الوثني الذي صمد وحيدًا في بحرٍ عصفت به رواياتٌ مُغالية، لم تقبل الرأي المُخالف، ولم تلجأ إلى الحقيقة المجردة إلا لممًا.

إشكاليات الدراسة:

وتحاول هذه الدراسة مُعالجة عدة إشكاليات تَمَثَّلَت في التساؤلات التالية:

١- هل كانت رواية زوسيموس من الأصالة والدقة والموضوعية ما يجعلها تعرض وجهة نظر مُضادة للمصادر المسيحية؟

٢- هل يُعتَّدُ بالكتابات الأدبية بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين بوصفها مصادرًا للحادثة؟

٣- كيف كان تأثير سياسة التنصير الغالبة على القرن الرابع في تناول الروايات المسيحية للحادثة؟

٤- ما هي علاقة الأسقف "أمبروز" بالدعاية الكنسية؟ وكيف كان تأثيره على توجيه روايات المصادر المسيحية؟

٥- ما هو موقف النُخبة السناتورية والطبقة الأرستقراطية في روما من الحادثة؟

منهج الدراسة:

اتبع الباحث منهج نقدي تحليلي لرواية زوسيموس مع مقارنتها بروايات المصادر الأخرى.

خطة الدراسة:

قسم الباحث الدراسة إلى مُقدّمة وأربعة مباحث هي كالتالي:

المُقدمة: وثوب إيوجينيوس على العرش الغربي.

المبحث الأول: تصنيف المصادر التي تناولت الحدث ونقدها.

المبحث الثاني: لماذا زوسيموس؟" قراءة نقدية لكتابه.

المبحث الثالث: البُعد الديني وراء اعتلاء إيوجينيوس العرش الإمبراطوري.

المبحث الرابع: التداعيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وراء صعود إيوجينيوس.

المُقدمة: وثوب إيوجينيوس على العرش الغربي.

وقع الاضطرابُ في القسم الغربي من أوربا عقب موت الإمبراطور فالنتينيان Valentinian الثاني (٣٧٥– ٣٩٢م) في ١٥ مايو سنة ٣٩٢م[١]، وبادر قائده الأول "أربوجاست" Arbogast إلى

---

(١) عُثر على الإمبراطور فالنتيان مشنوقًا في عشية منتصف مايو ٣٩٢م، في قصره بمدينة فيين Vienne بغالة. ولا يزال موته يلفه الغموض حتى اليوم؛ فذكر أوغسطين أنه لا يستطيع التأكد من أنه مات بحادثٍ عارض أم مقتولًا. راجع: مدينة الله، ترجمة: القس يوحنا الحلو، ط٢، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٦، ج١، ص ٢٧٠؛ وصمت ثيودوريت أوف كيروش عن الأمر، فلم يخض فيه. راجع:

Theodoret of Cyrus, Ecclesiastical history, in " A select library of Nicene and post-Nicene fathers of the Christian church, vol. 3, Ed. H. Wace & Ph. Schaff, Oxford & New York, 1892, 5. 24;

في حين اتهم سقراط سكولاستيكوس صراحة "إيوجينيوس" رئيس موظفي البلاط و"أربوجاست" – قائد الجيوش الغربية– بالتآمر معًا على إزاحة "فالنتينيان" وقتله. يقول "إنهما حرَّضَا عليه الخدم والخصيان لخنقه في فراشه".

Socrates Scholasticus, Ecclesiastical History, in " A select library of Nicene and post-Nicene fathers of the Christian church", vol. 2, Ed. Ph. Schaff &, H. Wace, W M. B. Eerdmans publishing company: Michigan, 1952, 5. 25;

وقد حار روفينوس وأورسيوس وسوزومين بين: هل قُتِلَ فالنتينيان بتحريض "أربوجاست"، أم شنق نفسه، فلم يحسموا الأمر. راجع:

Rufinus of Aquilia, the Church history: Books 10 and 11, trans. Ph. Amidon, 1st ed. Oxford university press, 1997, 11. 31; Sozomenus, Ecclesiastical History, in " A select library of Nicene and post-Nicene fathers of the Christian church", vol. 2, 7. 22; Paulus Orosius, the Seven books of history against the pagans, trans. R. J. Deferrari, the Catholic university of America press, INC., 1964, 7. 35;

وأكَّد زوسيموس أن أربوجاست أسلم الإمبراطور إلى الموت، بعد أن أصابه بجرح قاتل. راجع:

Zosime, Histoire Nouvelle, trad. François Paschaud, 1ière ed. Société d`Edition" les Belles Lettres": Paris, 1979, tom. 2, 4. 54; ووافقه على هذا يوحنا الأنطاكي. انظر:

Ioannis Antiocheni Fragmenta ex Historia Chronica, Ed. U. Roberto, 1st ed. Walter de Guyter: Berlin & New York, 2005, frag. 280;=

تنصيب رئيس موظفي البلاط فلافيوس إيوجينيوس Flavius Eugenius إمبراطـــورًا علـــى القســـم الغربي في صيف العام نفسه(١).

لم يقبل بهذه المُجريات إمبراطور القسم الشرقي ثيودوسيوس الأول (٣٧٨- ٣٩٥م)، ورفـــض – حسب قول زوسيموس- سفارة بعث بها إليه إيوجينيوس للاعتراف به إمبراطورًا شريكًا. ولـــذلك قاد جيشه إلى الغرب، وهزم إيوجينيوس عند نهر فريجيدوس Frigidus قُرب أكويليا بشمال إيطاليـــا بين يومي ٥- ٦ سبتمبر سنة ٣٩٤م(٢). وأمر بقطع رأسه على الأثر، في حين هرب "أربوجاست"، ثم قتل نفسه بعد ذلك بقليل(٣).

وقد جاء إدوارد جيبون بتفسيرٍ كلاسيكي لهذه الأحداث؛ فجعل العامل الـــديني هـــو المُحـــرّك الرئيس لها، حيث اعتبرها آخر ثورة وثنية ضد العالم المسيحي، وآخر هبّـــة لرومـــا الوثنيـــة ضـــد "القسطنطينية" –العاصمة المُقدّسة للعالم المسيحي وقِبْلَتِه المُضيئة- وآخر مُحاولاتهـــا للحفـــاظ علـــى

=وذكر فيلوستورجيوس أن أربوجاست أرسل أتباعه لقتل فالنتنيان، فخنقوه ثم علقوه من رقبته بمنـــديل فـــي فرع شجره، ليبدو كمن شنق نفسه. انظر:

Philostorgius, Church history, trans. With introduction and Notes by: Ph. Amidon, 1st ed. Society of Biblical Literature, Atlanta, 2007, 11. 1;

ويتفق باولينوس الميلاني مع بروسبر على أن فالنتنيان انتحر. انظر:

Paulinus of Milan, the Life of St. Ambrose, in "Ambrose" Ed. & trans. B. Ramsey, 1st ed. Routledge: London & New York, 1997, p. 206; Prosper's chronicle: A critical edition and translation of the edition of 445, ed. D. Brook`s, Master degree, University of Ottawa, Canada, 2014, p. 69;

في الوقت الذي اتهم صاحب مختصر تاريخ القياصرة إيوجينيوس بقتل فالنتنيان. انظر:

Epitome De Caesaribus, Tr. Thomas M. Banchich, Buffalo, New York, 2009, 48. 7;

ونقل عنه الرواية نفسها يوحنا النقيوسي وزوناراس وميخائيل السرياني. انظر:

The Chronicle of John, Bishop of Nikiu, trans. R. H. Charles, 1st ed. Williams & Norgate: London & Oxford, 1913, 83. 16; Zonaras, Epitomae Historiarum, Ed. M. Pinderi, Bonnae, 1897, 18, Tom. 3. 13. 6- 9;

ميخائيل السرياني، تاريخه الكبير، ج١، تعريب: غريغوريوس صليبا شمعون، حلب، ١٩٩٦، ص ٢٤٧؛

وللمزيد:

Croke, Brian. Arbogast and the death of Valentinian II, *Historia*, Bd. 25, H. 2, 2nd Qtr., 1976, pp. 235- 244.

(١) Socrates, Ecclesiastical history, 5. 25; Sozomenus, Ecclesiastical history, 7. 22; Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 54.

(٢) شذ عن هذا التاريخ بروسبر، فجعل تاريخ القضاء على إيوجينيوس سنة ٣٩٥م. Chronicle, p. 70.

(٣) Philostorgius, Church history, 11. 2; Orosius, the Seven books, 7. 35; Socrates, Ecclesiastical history, 5. 25; Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 58;

أيضًا: ميخائيل السرياني، تاريخه، ج١/ ٢٤٧.

تراثها وتاريخها الوثنيين[١]. وليس بغريبٍ أن يضع جيبون مثل هذا التفسير، وهو الذي زعم أن اعتناق الرومان للمسيحية كان أهم الأسباب التي أفضت إلى سقوط إمبراطوريتهم. ولذلك كان طبيعيًا أن يُلبس هذه الأحداث ثوبًا دينيًا. بيد أن فكرته يُعاب عليها أنها اختزلت قضية اغتصاب المنصب الإمبراطوري في الغرب الأوربي في ناحية واحدة فقط هي الناحية الدينية، متجاهلة الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لا شك كانت أيضًا مُحركات رئيسة لهذه القضية.

وقد حذا بعض المؤرخين والباحثين حذو جيبون في تناولهم لهذه الأحداث التي شغلت سنتين من عمر الإمبراطورية؛ فأرجعوها أيضًا لسبب ديني[٢]؛ من هؤلاء: جلبرت جرينـدل Grindle[٣] وكليفورد مور Moore[٤]، وهربرت بلوك Bloch[٥]، وستيفن فيراندي Ferrandi[٦]، وشارلز هدريك Hedrick[٧]، وجيروين فجنديل Wijnendael [٨]، وجستين كودورج Cudorge[٩]، ووليام وويليام هاريس Harris[١٠].

ويكفي قول بيتر براون Brown تعليقًا على آرائهم: "أن هؤلاء المؤرخين صنعوا من القرن الرابع حلقة صراع بين الوثنية والمسيحية. وجاء ذلك نتيجة لروايات المصادر المسيحية التي برزت في القرن الرابع والعقود الأولى من القرن الخامس، وصوَّرَت اندحار الوثنية بوصفه أمرًا سماويًا

---

(١) راجع: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ٢/ ٩٩، ١٠٦.

(٢) أجرت إفريل كاميرون حصرًا للكتابات التي تناولت أحداث القرن الرابع من منظور ديني حتى سنة ٢٠٠٨.

See: Cameron, Averil. Thought on the introduction to the conflict between paganism and Christianity in the fourth century, in " Pagans and Christians in the Roman Empire, Ed. P. Brown and R. Lizzi Testa, (October 2008). ", pp. 39- 53.

(٣) Grindle, Gilbert. The Destruction of Paganism in the Roman Empire from Constantine to Justinian, Oxford, 1920, pp. 26- 27.

(٤) Moore, Clifford. The Pagan reaction in the late fourth century, " *Transactions and proceedings of the American philological Association*", vol. 50, 1919, pp. 125, 129- 130 Ff.

(٥) Bloch, Herbert. A new document of the last pagan: revival in the west 393- 394, "*Harvard Studies in Classical Philology*", vol. 38, No. 4, Oct. 1945, pp. 226 Ff.

(٦) Ferrandi, Etienne. La Lutte contre le paganism dans l`oeuvre de Prudence, master: Université Aix-Marseille, 2016/ 2017, p. 118.

(٧) Hedrick, Charles. History and Silence. Purge and rehabilitation of memory in late late antiquity, 1st ed. University of Texsas press, 2000, pp. 42- 46, 50- 51, 85.

(٨) Wijnendael, Jeroen. The last romans: Bonifatius- world comes Africae, 1st ed. ed. Bloomsbury: U. K, 2016, pp. 14- 15.

(٩) Cudorge, Justine. La Destruction des sanctuaires païens par les chrétiens de de Constantine a Justinien, Mémoire : Université de Rouen, 2015, p. 118.

(١٠) Harris, William. Religion on the battlefield from the *Saxa Rubra* o the Frigidus, in *Vestigia*, Ed. V. Gasparini, Stuttgart, 2016, pp. 445- 447.

ربانيًا، يُجسد انتصار المسيح على أباطرة الشر. وعليه فرض الكتاب المسيحيون رأيهم الديني لأكثر من قرن من الزمان، فكان من العيب أن يُساير مؤرخو العصر الحديث آراء هؤلاء الأقدمين، وأن يُقدّموا تاريخ هذه الحقبة في إطار التنصير Christianisation"[١]. وأضافت ميشيل سالزمان Salzman[٢]: "لقد أخطأ أولاء الباحثون حين قدَّموا الدين بوصفه حلاً للقضية؛ لأن تقييم الحافز الديني هو ليس أمرًا سهلًا، خاصةً مع سيطرة الدعاية الكنسية، وشُح النصوص الوثنية المعاصرة. ولذلك مُعظم الروايات عن الحادثة جاءت من المصادر المسيحية التي لم تكن حيادية، وعليه لا يُمكن منحها الثقة الكاملة، ولا يُمكن للباحثين بناء صورة متناسقة لأحداث الماضي من خلالها".

وحتى يُمكن الوقوف على الأسباب الرئيسة التي أوصلت إلى ظهور إيوجينيوس يجب إزالة الغموض عن مسرح الصراع واستجلاء تفاصيله السياسية والعسكرية والاقتصادية. بالتالي لا يصح أن نقصره على طرفين؛ أولهما يُمثل الطبقة الأرستقراطية في روما وما يتبعها من نبلاء ومثقفين وأعضاء وثنيين في مجلس الشيوخ الذين ابتغوا الحفاظ على الموروث القديم للإمبراطورية، بكل تفاصيله الثقافية والاجتماعية، وافترضوا في جوهره مثول التسامح بين طوائف المجتمع. وثانيهما التيار المسيحي الصاعد الذي كان عِماده طبقة العامة، وقد استمد قوته من الإمبراطور ومن الكنيسة ورموزها، وكان يرفض التقارب أو الانسجام الثقافي، ولا يرى إلا وحدوية الفكر والتوجيه في سبيل "التنصير" فقط، وإلا فالنتيجة تُحسم سلفًا لصالح الطرف الثاني على حد ذكر روبرت ماركوس Markus وبيتر براون[٣]. وقد يُساعدنا على استجلاء حقيقة الصراع دراسة المصادر التي تناولته وتصنيفها من حيث الأهمية والأصالة.

تصنيف المصادر التي تناولت الحدث ونقدها.

لم يكن وثوب غاصب على العرش الغربي من الإمبراطورية بالأمر الجديد على روما أو القسطنطينية، غير أن حركة إيوجينيوس تُعد الأخيرة قبل أن يؤول حكم الإمبراطورية إلى أسرة ثيودوسيوس مُدَّة خمسين عامًا لاحقة؛ ولذلك تناولت مصادر القرنين الرابع والخامس أحداثها باستفاضة. على أنه يمكن بوضوح رؤية التناقضات في رواياتها، والأحكام الجائرة، والأقاصيص

(١) Brown, Peter. Aspects of the Christianisation of the roman world: the tanner tanner lectures on human values, delivered at Cambridge university (22- 24 Nov. 1993), 17- 18.

(٢) Salzman, Michele. Pagans and Christian, in" Early Christians Studies", Ed. S. Harvey & D. Hunter, 1st ed. Oxford university press, 2008, pp. 193- 194.

(٣) Markus, Robert. The End of Ancient christianity, 1st ed. Camb. university press, 1990, pp. 1- 17; Brown, Aspects of Christianisation, pp. 117, 130, 150- 151.

المُبالغ فيها، ولذلك توجب تصنيفها حسب القُرب الزمني والأصالة والأهمية. ويُمكن تقسيمها على هذا الأساس إلى قسمين:

أولًا: الكتابات الغربية: وتشمل المصادر المُعاصرة للأحداث محل الدراسة أو اللاحقة عليها، ويُمكن تقسيمها إلى مصادر مسيحية وأخرى وثنية:

١- المصادر المسيحية: ويأتي على رأسها كتابات "أمبروز" Ambrose أسقف ميلان الذي كان يُمثّل الكنيسة الغربية باقتدار(١)، فأصبح وإياها كيانًا واحدًا، حتى أن البابا في روما كان لا يقطع برأي دون الرجوع إليه. وأهم كتابات "أمبروز" التي أفادت الدراسة هي خطاباته، التي يُمكن تصنيفها إلى: خطابات عامة، تُغطي أحداث الفترة، وخطابات تأبينية، صاغها حين وفاة الإمبراطورين فالنتيان الثاني وثيودوسيوس. ويُظهر نقد هذه الخطابات وتحليلها أنها قد سُخرت لقضايا دينية. وبقدر أهميتها لسبر أغوار هذه السنوات الحرجة من عمر القرن الرابع، فإن صاحبها "أمبروز" يُتّهم في تناوله الحادثة من منظور ديني ضيق، ما دفع آلان كاميرون Cameron وميشيل سالزمان Salzman ويانيس ستورياتيس Stouriatis إلى القول إنه وضع تصورًا دينيًا لكل المسائل المثارة للنقاش، وأصدر أحكامه مُرتكنًا على هذا الأساس، بالتالي هو من كان يُفجّرُ الصراع على أساس ديني وليس خصومه(٢).

---

(١) وُلِد أمبروز لأسرة رومانية مرموقة بين سنتي (٣٣٧- ٣٤٠م)، وشبَّ خطيبًا متقفًا. واشتغل بالمحاماة قبل أن يشغل وظائف إدارية في الإمبراطورية، فأصبح حاكمًا على ميلان سنة ٣٧٤م، ثم صار أسقفًا لها. بدا للعالم الغربي مسيحيًا صارمًا، حيث اطّلع على كتابات آباء اللاهوت أمثال أوريجين وبازيل، ونقل أفكارهم إلى قُرّاء اللاتينية. له عدة مؤلفات أهمها: سر التجسيد، والأسرار، وعدد ضخم من الخطابات، صُنِفَت في تسعة كتب. وهي بالغة الأهمية خاصة الخطابات الرسمية التي حررها إلى الحكام، ويُضاف إليها أيضًا خطبه التأبينية في الأباطرة، توفي بميلان سنة ٣٩٧م. راجع:
Jerome, Chronicle, ann. 374;
Also: Mclynn, Neil. Ambrose of Milan: church and court in Christian capital, 1st ed. University of California press, 1994, pp. XIII- XIV; Ambrose of Milan: Political letters and speeches, trans. J. Liebeschuetz, 1st ed. Liverpool university press, 2005, pp. 27- 28, 32- 34; Liebeschuetz, John. Ambrose & John Chrysostom: clerics between desert and empire, 1st ed. Oxford university press, 2011, pp. 60- 63.

(٢) Cameron, Alan. Paganism and Literature in late fourth century, pp. 29- 30; Salzman, Michele. Ambrose and the usurpation of Arbogastes and Eugenius: Reflctions on pagan-christian conflicts narratives, "*Journal of Early Christian Studies*", vol. 18, no. 2, 2010, p. 198; also: Stouriatis, Yannis. Civil war in Christian Empire, in " A Companion to the Byzantine culture of war (300- 1204), Ed. Y. Stouriatis, 1st ed. Brill, 2018, p. 110.

لقد آمن أمبروز بالمسيحية ليس بوصفها ديناً فحسب، وإنما طابعًا يجب أن يغلب على مناحي الحياة. ورأى أن المُثُل الجديدة التي جاء بها هذا الدين يجب أن يُسلِّم بها الحُكام والقادة والنبلاء والمُثقفين والأميين دون نزاع، وعليه أرسى فكرة سمو الكنيسة على عناصر المُجتمع، ومهد لفرض سيادتها على الدولة. وكان يُظهر في سبيل ذلك الدهاء والمداراة والدبلوماسية وأحيانًا القسوة(١). وليس من المُبالغة القول إن أمبروز في بدايات القرون الوسطى مهّدَ لما عُرِف بالسمو بالبابوي الذي بلغ ذروته في ختام القرن الثاني عشر الميلادي.

واتهام أمبروز لا يقف عند تعصبه الديني ومُغالاته، بل يتجاوز ذلك إلى أنه رسَّخَ في الكتابة – مُتأثّرًا بـــــ آباء الكنيسة الشرقية– أسلوبًا يُقيّمُ الحوادث جميعها على أساسٍ عقدي، فمضى يطرحُ أفكاره من هذا الطريق وحسب، رافضًا رأي الآخر. وقد نقل هذه الأفكار عن قصد أو بدون إلى غيره من الكُتَّاب والأساقفة الذين بدورهم صاروا لا يقّلون عنه تطرفًا، فجانبوا في كتاباتهم الموضوعية تارة، وقبلوا المُبالغات والخُرافات تارة أخرى(٢).

ويجيء روفينوس Rufinus الأكويلي في تاريخه الكنسي(٣)، تلميذًا لأفكار أمبروز. وسار على هديه من أصحاب المصادر الغربية القديس أوغسطين(٤)، وباولوس أورسيوس Paulus Orosius(٥)

---

(١) . Liebeschuetz, Ambrose & John Chrysostom, p. 60.

(٢) Voir details: Inglebert, Hervé. L` Historiographie au IV siècle entre païens et chrétiens: faux dialogue et vrai débat, dans " Pagans and Christians, p. 108.

(٣) يُعد روفينوس (٣٤٠– ٤١٠م) شيخ المؤرخين الكنسيين الغربيين. كان مُقيمًا في القدس حتى سنة ٣٩٧م، ثم رحل غربًا إلى أكويليا، حيث حبَّر التاريخ الكنسي بـــين الأعـــوام ٤٠٢– ٤٠٦م. ويُـــرجّح بعـــض المؤرخين أنه طالع أعمال "أمبروز" وخطاباته بمساعدة كروماتيوس Chromatius أسقف أكويليا الذي كان من مُريدي "أمبروز"، وقد تأثَّرَ به روفينوس. ولذلك جاءت رواياته مُطابقة لتوجهـــات "أمبـــروز" وأفكاره. انظر:

Rufinus, the Church history: the introduction, pp. VI- XI; also: Lizzi, Rita. Ambrose`s contemporaries and the Christianisation of northern Italy, *The Journal of Roman Studies*, Vol. 80, 1990, pp. 156-173.

(٤) أفضل ما يُقدّم شخصية أوغسطين أوف هيبو (٣٥٤– ٤٣٠م) ونشأته وفكره هـــو كتابـــه الاعترافـــات، ترجمة: يوحنا الحلو، ط٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١، وأيضًا انظر: مقدمة كتابه مدينة الله.

(٥) أورسيوس وُلد في غالة بين سنتي ٣٧٥– ٣٨٠م وتُوفي بعد سنة ٤٢٣م. نشأ مسيحيًا ورُسم أسقفًا بعد سنة ٤١٠م، ودرس سنوات على يد أوغسطين في مدينة هيبو، ثم رحل إلى فلسطين فـــي ســـنة ٤١٥م وقابـــل اللاهوتي الشهير جيروم. ولدى عودته إلى هيبو – وبتشجيع من أوغسطين– ألّفَ بين عـــامي ٤١٧– ٤١٨م كتابه "سبعة كتب للتصدي للوثنيين". وقد بدأه من ظهور الخلق وانتهى به إلى أحداث نهب ألاريـــك لرومـــا. ويظهر تأثره في هذا الكتاب بفكرة انتصار مدينة الله عند أوغسطين وكذلك بالمنحى اللاهوتي عند جيـــروم. ومن اللافت أن كتاب أورسيوس ترك عظيم الأثر في مؤرخي العصور الوسطى وأدبائها. انظر:=

وباولينوس الميلاني Paulinus of Milan[١]، والشاعر أورليوس برودنتيوس Prudentius[٢]، جميعُهم تأثر بالأسقف "أمبروز" ونقلوا آرائه.

٢- **المصادر الوثنية:** وتأخذ صدارتها خطابات سيماخوس وتقاريره[٣] التي تحتلُ أهمية كبيرة بوصفها تُمثل وجهة النظر الوثنية من جهة، وتُمثّلُ صوتًا لمجلس الشيوخ والطبقة الأرستقراطية في روما من جهة أخرى. بيد أن سيماخوس يُعاب عليه أنه لم يؤرخ لخطاباته، بل عرضها وكأنه يتوقع من القارئ أن يعرف تفاصيل عصره، أي الربع الأخير من القرن الرابع، غير أن هذا لا يُقلل من أهمية كونها تناولت شخصيات عامة في مجتمع روما وعالجت قضايا مدنية ودينية[٤].

= Orosius, Seven Books, the introduction; also: Zecchini, Giuseppe. Latin Historiography: Jerome, Orosius and the western chronicles, "Greek & Roman Historiography in late antiquity fourth and sixth century A. D, ed. G. Marasco, 1st ed. Brill: Leiden & Boston, 2003, pp. 319- 329.

(١) كان باولينوس شماسًا يعمل في خدمة سان أمبروز في كنيسة ميلان، وربما كان يُحرر له خطاباته، وقد لازمه حتى وفاته سنة ٣٩٧م. ثم قصد بعدها إلى هيبو في شمال أفريقيا، حيث لازم القديس أوغسطين الذي شجّعه على كتابة سيرة حياة "أمبروز". وقد أنهي هذا المُؤلَّف على الترجيح بين سنتي ٤١٣- ٤٢٢م. ورُغم أنه في مُقدّمة كتابه يقول إنه لم يكتب غير الحقيقة، إلا أن بعض أخباره يصعب تصديقها، إذ غلبت عليها المبالغة. انظر:

Paulinus of Milan, the introduction, p. 195; Mclynn, Ambrose of Milan, p. XVII.

(٢) كان الشاعر برودنتيوس (٣٤٨- بعد ٤٠٥م) صديقًا لـــ ثيودوسيوس أثناء خدمته ضابطًا في إسبانيا، ولازمه في الشرق حتى تم تنصيبه إمبراطورًا سنة ٣٧٨م، ثم عُيِّنَه ثيودوسيوس مستشارًا في المجلس الإمبراطوري بإيطاليا. نظم مُطولة شعرية على نهج فرجيل، شُغلت بالأحداث بين سنتي ٣٨٤- ٤٠٢م، وقد اهتم فيها بتعظيم صاحبه الإمبراطور، كما خصص منها قسمًا كبيرًا للرد على الوثني الأرستقراطي سيماخوس. انظر:

Prudentius, Trans. H. J. Thomson, 1st ed. London, 1949, the introduction; Ferrandi, La Lutte contre le paganism dans l`oeuvre de Prudence, pp. 8- 12.

(٣) كوينتوس أورليوس سيماخوس Symmachus (٣٤٠- ٤٠٢م)، كان من أبرز مُثقفي روما الوثنيين وخُطَبائها. تدرج في الوظائف الحكومية من بروقنصل لأفريقيا في سنة ٣٧٣م، ومُحافظًا لروما بين سنتي ٣٨٤- ٣٨٥م. وقد أُتُهِمَ بالتواطؤ في تأييد ماجنوس مكسيموس (٣٨٣- ٣٨٨م) إمبراطورًا غربيًا، لكن عفا عنه الإمبراطور ثيودوسيوس، وعينه قنصلًا في عام ٣٩١م. وقد ترك سيماخوس مؤلفات أهمها المناشدات Relationes وعددًا ضخمًا من الخطابات التي جمعها ورتبها - بعد وفاته- ولده فابيوس مميوس، وأخرجها في عشرة كُتُب. انظر:

Croke, Brian. The Editing of Symmachus` letters to Eugenius and Arbogast, "*Latomus*", t. 35, fasc. 3 (Juill. Sept. 1976), p. 533; Mitchell, Jillian. The Religious world of Q. Aurelius Symmachus, PHD, 2016, pp. 11- 12.

(٤) Paschoud, François. Réflexions sur l'idéal religieux de Symmaque, pp. 215 -235, "*Historia*", Bd. 14, H. 2, Apr. 1965, p. 215; also: Creese, Maggi. Letter to the=

ويُضاف إلى سيماخوس أعمالٌ أدبية عاصرت الأحداث مثل قصائد كلوديان Claudian[١].

ثانيًا: الكتابات الشرقية: وهي تنقسم إلى:

١- المصادر المسيحية: ويتصدَّرها المؤرخ فيلوستورجيوس Philostorgius[٢]، وبعده يأتي سقراط Socrates Scholasticus[٣] وسوزومين Sozomenus[١] وثيودوريت الكيروشي Theodoret of Cyrus[٢].

=Emperor: Epistolarity and power relations from Cicro to Symmachus, PHD, University of St. Andrews, 2007, pp. 174 Ff.

(١) كلوديوس كلوديانوس (٣٧٠- ٤٠٧م) هو شاعر سكندري المولد، عُرِف بقرضه الشعر على نهج قصائد فرجيل. لحق بروما عام ٣٩٤م، وصار من عناصر بلاط الإمبراطور هونوريوس (٣٩٥- ٤٢٣م)، ووجّه له المديح في مستهل كل عام. كما خص بمدائحه "ستيليكو" قائد جيوش القسم الغربي والوصي على العرش. وقد أفادت قصائده في إيضاح بعض النقاط حول حركة أيوجينيوس، مثل وصفه لما حدث في معركة فريجيدوس. ولم يُحسم على أي وجهٍ كانت عقيدة كلوديان؟ يقول أوغسطين عنه أنه كان مُبغضًا للمسيح، انظر: مدينة الله، ج ١، ٥/ ٢٧٠، وقال عنه أورسيوس أنه وثني عنيد: Seven Books, 7. 35، وقد أجرى ألان كاميرون دراسة عن هذا الشاعر خلص منها إلى أنه كان وثنيًا. انظر:

Camron, Alan. Claudian: Poetry and propaganda of the court of Honorius, 1st ed. Oxford university press, 1970, pp. 187- 227.

(٢) وُلِدَ فيلوستورجيوس في بوريسوس Borissus إحدى قُرى كبادوكيا سنة ٣٦٨م، وأكمل تعليمه في القسطنطينية. نشا آريوسي المذهب *Eunomian* أو *Heterousian* مُعارضًا للمذهب السائد في العالم المسيحي آنئذٍ وهو المذهب النيقي *Homoosianism*. وقد تعرض للاضطهاد في عهد ثيودوسيوس، وأُبعد عن القسطنطينية. تناول في كتابه التاريخ الكنسي الحقبة بين ظهور بدعة آريوس عام ٣٢٢م وحتى سنة ٤٢٥م، وقد قسمه إلى اثنتي عشر كتاب، وانتهى منه في الفترة بين سنتي ٤٣٠- ٤٣٩م. وبسبب دفاعه عن الآريوسية اتهمه فوشيوس – في القرن التاسع- بتأليف عملًا يحمل الهرطقة ضد العقيدة الصحيحة، على أن أهمية كتابه تنبع من كونه مُخالفًا في الرأي للكنيسة الغربية. كان فيلوستورجيوس دقيقًا ومُحللًا في نقل أخباره، لكن آريوسته جعلته يبالغ أحيانًا في نقده للأباطرة: قنسطنطين وجراتيان وثيودوسيوس، وقد توفي قُرب سنة ٤٣٩م. انظر:

Church History of Philostorgius, the introduction, pp. XIII- XXV, 11 Ff; the prologue of Photius, p. 2; Marasco, Gabriele. The Church Historians (2): Philostorgius and Gelasius of Cyzicus, pp. 258- 259 Ff; Leppin, Hartmut. Heretical historiography: Philostorgius, *Studia Parsistica*, 34, 2001, pp. 120- 121. وللمزيد عن فيلوستورجيوس راجع: عبد الوهاب، ياسر مصطفى. البابا أثناسيوس في كتابات المؤرخ الآريوسي فيلوستورجيوس (٣٦٤- ٤٣٣م)، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، عدد (١٢)، يونيو ٢٠١٦، ص ٧٣٦- ٧٣٨.

(٣) وُلِدَ سقراط في القسطنطينية حوالي سنة ٣٨٠م، وشبَّ وتعلَّمَ ومكث فيها حتى وفاته سنة ٤٥٠ تقريبًا ولذلك حمل لقب القسطنطيني، وعُرِفَ بـ سكولاستيكوس بسبب دراسته للقانون. كرَّسَ كتابه =

٢- **المصادر الوثنية:** ويتقدّمها بلا منازع تاريخ زوسيموس.

=التاريخ الكنسي لمن يُدعى ثيودور الذي كان فيما يبدو أحد مُحرري قوانين ثيودوسيوس. كان سقراط أرثذوكسيًا نيقيًا صريحًا رُغم شغفه بدراسة الآداب الإغريقية. وتعكس أوراقه مدى إلمامه بالكتابة= =وتوفر ملكة النقد لديه، كما يتضح منها أنه قرأ كتاب روفينوس، سواء طالعه باللاتينية، أم درس نسخته اليونانية التي وضعها بايانيوس Paeanius، ولكنه لم يُسلِّم بكل ما ورد في هذا الكتاب، بل وجَّهَ سهام النقد إلى بعض رواياته. ويُغطي مُؤَلّفه الفترة (٣٠٥- ٤٣٩م)، وقد قسَّمه إلى سبعة كُتُب. ويُرجَّح أنه أنهى تأليفه بين سنتي ٤٣٩- ٤٤٣م:

Urbainczyk, Theresa. Socrates of Constantinople: Historian of Church and State, 1st ed. the University of Michigan press, 1997, pp. 13- 20; Leppin, Hartmut. The Church Historians (1): Socrates, Sozomenus and Theodoretus, in " Greek & Roman Historiography in late antiquity fourth and sixth century, pp. 22- 223 Ff.

(١) وُلِدَ سوزومين في قرية من أعمال غزّة اسمها بيثيليا، ويُرَجّح أنه عاش في الفترة (٣٨٠- ٤٥٠م). كان في بدايته وثنيًا مُقبلًا على الآداب الكلاسيكية، ثم درس القانون في بيروت، حتى نال لقب سكولاستيكوس. ويَمَّمَ بعدها شطر القسطنطينية ليعمل بالمحاماة. وهناك تأثَّرَ بمعاصره سقراط، فَأصبح مؤمنًا بالقانون النيقي وصَحَّ لديه العزم على كتابة التاريخ الكنسي. قسَّم مؤلفه إلى تسعة كُتُب، تُغطي الفترة من نهاية مؤلف يوزيبيوس القيصري سنة ٣٢٥م ولغاية عام ٤٢٩م. ويُرَجَّح أنه انتهى منه في الفترة (٤٤٣- ٤٤٦م)، وأهداه إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤١٦- ٤٥٠م). وقد اعتمد كثيرًا على روايتي روفينوس وسقراط، غير أنه أتى بأخبارٍ لم يسردها هذا أو ذاك، بما يشي بتعدد مصادره واختلافها عن تلك التي اعتمداها.

Sozomenus, Ecclesiastical history, the introduction; Roueché, Charlotte. Theodosius II, the cities, and the date of Church history of Sozomen, *The Journal of Theological Studies*, Vol. 37, Issue 1, April, 1986, pp. 130– 132; Leppin, The Church Historians (1): Socrates, Sozomenus and Theodoretus, pp. 223- 225.

(٢) وُلِدَ ثيودوريت في أنطاكية حوالي سنة ٣٩٣م لعائلة مسيحية ثرية، وتوفي بين سنتي ٤٦٠- ٤٦٦م. تلقى تعليمًا كنسيًا ومدنيًا جيدًا، واطَّلع على الآداب الكلاسيكية. تفرّغَ في شبابه لحياة الرهبان في دير قرب أباميا، وكذلك للقراءة والتأليف. تم تعيينه أسقفًا على مدينة كيروش في سوريا سنة ٤٢٣م، وهناك نهض يجادل الآريوسيين والهراطقة واليهود والوثنيين. وأقحم نفسه في النزاع اللاهوتي الدائر حينئذٍ في العالم المسيحي، فانحاز إلى السريان النساطرة، ما جعله يخسر وظيفته الأسقفية، ويُحكم عليه بالهرطة وإحراق كتبه. على أنه بعد رجوعه عن آرائه استعاد وظيفته، وبقي في كيروش حتى وفاته. يبدأ تاريخه الكنسي من عام ٣٢٢م حيث ظهور البدعة الآريوسية، وينتهي في سنة ٤٢٩م. وقد قسمه إلى خمسة كُتُب، ويُرَجّح أنه أنهاه قبل سنة ٤٥٠م. ويختلف في روايته عن كتابي سقراط وسوزومين. فهو مع اعتماده عليهما، كان يرجع إلى مصادر أخرى، أكثرها مفقود اليوم. وعلى الرغم من حسه النقدي وظهور آرائه الخاصة كثيرًا في أوراقه غير أنه يُعاب عليه اللون الأدبي الواضح في طريقة كتابته. انظر:

Urbainczyk, Theresa. Theodoret of Cyrus: the bishop and the holy man, 1st ed. the university of Michigan press, 2007, pp. 10- 28, 29- 39; Pasztori-Kupan, Istvan. Theodoret of Cyrus: The Early church fathers, 1st ed., 2006, pp. 3- 13.

لماذا زوسيموس؟ قراءة نقدية لكتابه.

عاش زوسيموس Zosimus Historicus بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين. ويبدو أنه كان ينتمي لأسرة غنية، إذ نالَ قسطًا وافرًا من التعليم في فروع الثقافة والأدب والقانون. كما يبدو أنه قضى طيلة حياته في القسطنطينية، حيث تعكس أوراقه وصفًا دقيقًا لتفاصيل هذه المدينة. وقد أهلَّته مواهبه وخبراته التعليمية لأن يحصل على وظائف إدارية في القسطنطينية، فيذكر فوشيوس – بطريرك القسطنطينية في القرن التاسع– أن زوسيموس كان قُمسًا *Comes*، وأنه تقلَّدَ أيضًا وظيفة المُراقب القانوني لخزانة العاصمة *Advocatus fisci*(١).

كان زوسيموس كاتبًا وثنيًا من طراز إميانوس ماركلينوس. وقد عكست أوراقه كم كان مُتشائمًا في نظرته نحو المسيحية التي عدَّها السبب الرئيس لتقويض أركان الإمبراطورية؛ فجاء مؤلفه "التاريخ الجديد" بمثابة عريضة احتجاج ضد أباطرة المسيحية الكِبار: قنسطنطين (٣٠٦– ٣٣٧م) وجراتيان (٣٧٥– ٣٨٣م) وثيودوسيوس (٣٧٨– ٣٩٥م)(٢). ويُوصف أيضًا بأنه صاحب آخر قلم وثني وقف في مواجهة المصادر المسيحية والكتابات الداعمة لفكرة التنصير، التي يُعاب عليها غياب النظرة الناقدة؛ فأغفلت من الحقائق والوقائع ما كان كفيلًا بتقديم رؤى أوضح حول أحداث الدراسة(٣).

ولا يعرف أحدٌ على وجه اليقين متى أنهى زوسيموس مؤلفه، ولكن يترجّحُ أنه فرغ منه في الفترة بين أواخر القرن الخامس ومستهل القرن السادس الميلاديين. وقد قسَّمه إلى ستة كُتُب، وبدأ أحداثه من نهوض روما وانتهي به إلى سنة ٤١٠م، قبل قليل من قيام "ألاريك" بنهب مدينة روما. واعتمد فيما يخص أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين على مصدرين رئيسيين هما: يونابيوس Eunapius وأوليمبيودورس الطيبي Olympiodorus of Thebes (٤).

---

(١) Photius, Bibliotheca: trans. R. henry, see: Zosimius;
كلمة قمس أو كونت وُلدت في القرن الرابع، وكان يحملها عدد من معاوني الإمبراطور، فمنهم إداري ومنهم عسكري ومنهم مالي. انظر: فرج، وسام عبد العزيز. بيزنطة: قراءة في التاريخ السياسي والإداري، ط١، دار عين، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٤١- ٤٢، وللمزيد راجع:
Bodnaruk, Mariana. Production of distinction: the representation of senatorial elites (306- 395 A D), Medieval studies PHD, Central European Univ., 2019, pp. 293- 331.

(٢) Paschaud, François. Cinq études sur Zosime, 1ière ed. Société d`Edition: "les Belles Lettres": Paris, 1975, pp. 10, 125.

(٣) Paschaud, Cinq études sur Zosime, p. 11.

(٤) وُلد يونابيوس في مدينة ساردیس بآسيا الصغرى بين سنتي ٣٤٥– ٣٤٦م. عُرف بنبوغه الأدبي، واشتهر بتدريس المنطق في مدينة أثينا. وعمّرَ طويلًا، ربما إلى ثلاثينيات القرن الخامس الميلادي. صنف كتابين هما "حياة السفسطائيين" Lives of Sophists وتاريخ العالم the Universal history، الذي يتناول الأحداث من سنة ٢٧٠م – حيث انتهى كتاب بوبليوس دكسيبوس Publius Dexippus– لغاية =

ويُعَدُّ كتاب زوسيموس من أهم المصادر التي تناولت أحداث الدراسة، وذلك لأسباب:

١- نقل في كتابه الرواية الكاملة للمؤرخ الوثني المعاصر يونابيوس، وهذا ربما يُفسر أنه في بعض فقراته كان مُغاليًا في هجومه على المسيحية.

٢- يُمثّلُ - بوصفه وثنيًا- وجهة النظر المُضادة للمصادر المسيحية، ويستمد أهميته من كونه آخر مصدر وثني في حقبة العصور الوسطى الباكرة.

٣- تميز بالحس النقدي في كتابته، وكان حريصًا في تحليله للأحداث على الربط بين سياسات الدولة - خاصة في عهد ثيودوسيوس- ونتائجها(١).

وقد ظهر لكتاب زوسيموس ترجمتان إنجليزيتان(٢). غير أن أفضل ترجمة حظي بها كانت للسويسري فرانسوا باشو Paschaud الذي نقله إلى الفرنسية عن اليونانية مباشرة، وأخرجه بين سنتي (١٩٧١- ١٩٨٩م) في خمسة مُجلدات مع شروحٍ وتعليقات وافية(٣). كما أفرد لزوسيموس عدة دراسات، وكان مما قاله عنه: "إن المصادر المسيحية في حقبة التنصير تعمدَّت تجاهل روايات

= سنة ٤١٤م. وقد فُقِدَ هذا الكتاب إلا من شُذرات منثورة، لكن لحسن الطالع حفظه زوسيموس كاملًا في تاريخه الجديد. وقد امتدح فيه فوشيوس الدقة والوضوح، غير أنه عاب عليه هجومه على الأباطرة المسيحيين.

Photius, Bibliotheca, Eunapius; Paschaud, Cinq, pp. 169- 180; Sacks, Kenneth. The Meaning of Eunapius' History, *History and Theory*, 25, 1 (Feb., 1986), pp. 52-67.

وأما أوليمبيدوروس فوُلد في طيبة بمصر بعد سنة ٣٨٠م، وكان أديبًا وشاعرًا. يتفق الباحثون على أنه أقام في روما بين سنتي ٤١٢ و٤٢٥م، ثم رجع إلى مصر حيث حبَّر كتابه ربما قبل سنة ٤٤٣م. وقد تناول فيه الأحداث التاريخية للقسم الغربي من الإمبراطورية بين سنتي ٤٠٧ - ٤٢٥م، وأهداه إلى إمبراطور القسم الشرقي ثيودوسيوس الثاني (٤١٦- ٤٥٠م)، الأمر الذي أثار تعجب الباحث بيتر فان نوفلن. انظر:

Van Nufflen, Peter. Olympiodorus of Thebes and eastern triumphalism, in "Theodosius II and his age, Ed. C. Kelly, 1st ed. Cambridge univ. press, 2013, p. 130

وهذا الكتاب بدوره مفقود اليوم إلا من نتفٍ صغيرة لا تُشفي الغليل. وقد حفظ زوسيموس أخباره حتى سنة ٤١٠م. يقول فوشيوس مُعلقًا على هذا الكتاب "إنه يفتقر إلى حس الكتابة التاريخية، حيث صيغ بأسلوب أدبي". كما أنه يتهم أوليمبيودورس بميله إلى الوثنية. انظر:

Photius, Bibliotheca: see: Olympiodorus; for more details see: Baldwin, Barry. Olympiodorus of Thebes "*L`antiquite Classique*", t. 49, 1980, pp. 212- 231; Gillett, Andrew. The date and circumstances of Olympiodorus "*traditio*", 1993, pp. 1- 29.

(١) For more details see: Kaegi, Walter Emile Jr. Byzantium and the decline of Rome, 1st ed. Princeton university press, 1968, pp. 99 Ff.

(٢) Zosimus, New History. London: Green and Chaplin, 1814; Zosimus, New History, Trans. with Commentary: R.T. Ridley, University of Sydney, 1982

(٣) Histoire Nouvelle de Zosime, édition et traduction: François Paschoud, 5 volumes, Paris: les Belles Lettres, 1971-1989.

زوسيموس، رُغم تميزه بالدقة والتحليل الهادف[١]. ومدحه والتر جوفارت Goffart بقوله: "إن زوسيموس هو أول مؤرخ ذو قلم ناقد يتناول الأسباب الحقيقية لسقوط الإمبراطورية"[٢]. وعدَّه آيفان بريشلك Prechlik من أصدق المصادر وأكثرها موضوعية مؤكّدًا أنه انفرد بروايات لم يأتِ بها غيره من كُتّاب القرنين الرابع والخامس الميلاديين[٣].

ومع هذا يُعاب على زوسيموس أنه أغفل الحديث عن شخصيات من أعمدة الطبقة الأرستقراطية في روما مثل: فلافيانوس الذي كان من الوثنيين المؤيدين لـــ إيوجينيوس، وسيماخوس الذي كان له عظيم الأثر في الدفاع عن رموز الوثنية في عهدي جراتيان وفالنتنيان الثاني. ويبدو أن زوسيموس رأى أنهما لم يُمثّلا عظيم خطرٍ على أحداث وثبة إيوجينيوس، مما يُلقي بظلال الريبة على التفسيرات الأولية التي فرضت الأدلجة على الحادثة.

وقد أفرد زوسيموس مساحة واسعة للحديث عن إيوجينيوس و"أربوجاست"، وكال لهما المديح، في الوقت الذي كان شديد التحامل على الإمبراطور ثيودوسيوس، فلم يدّخر وسعًا في تأنيبه على سياسته التي عدّها طائشة، ودفعت الإمبراطورية إلى حافة الهاوية. ولا نجد غرابة في هجومه عليه إذ وثنيته تبرره. وينفرد زوسيموس بتسجيل معلومات تفصيلية عن زيارة ثيودوسيوس لروما سنة ٣٩٤م، حيث طلب عقد جلسة طارئة لمجلس الشيوخ، وقد نقل بأسلوب رشيق ما دار في هذه الجلسة، وهو ما لم يذكره مصدرٌ آخر[٤].

البُعد الديني وراء اعتلاء إيوجينيوس للعرش الإمبراطوري.

ذُكِرَ في المُقدّمة أن الآراء الأولى للباحثين أرجعت حركة إيوجينيوس إلى الحافز الديني، وعدَّتها ردة فعل طبيعية لسياسة ثيودوسيوس الرامية إلى تنصير الإمبراطورية[٥]. ومما شجّعهم على

---

(١) Paschaud, Cinq études sur Zosime, pp. 24- 25 Ff;

قد أشاد إفاجريوس Evagrius بكتاب زوسيموس واعتمد عليه في تاريخه الكنسي. انظر:

Evagrius, the Ecclesiastical History, trans. M. Whitby, 1st ed. Liverpool university press, 2000, 3. 40; 5. 24.

(٢) Goffart, Walter. Zosimus, The First Historian of Rome's Fall, *The American Historical Review*, Vol. 76, No. 2 (April, 1971), pp. 412- 441.

(٣) Prechlik, Ivan. Zosimus, Praetextatus, and Valentinian I. The Quellenforschung Note on Zosimus, Historia nova, IV,3,3, and the Possible Purpose of the Annales of Nicomachus Flavianus, *Listy filologické*, vol. 134, 2011, 3- 4, pp. 309 Ff.

(٤) Paschaud, Cinq études sur Zosime, pp. 100 Ff.

(٥) أبطل ثيودوسيوس في سنتي ٣٨١، ٣٨٢م – بموافقة جراتيان– ما شاع قديمًا في المعابد من زيارة الهياكل وذبح الذبائح وإجراء العِرافة بأكبادها وأحشائها، وأكد كل ذلك مع فالنتنيان الثاني في سنة ٣٨٥م. انظر:=

ذلك أن أحد أبرز الوثنيين الرومان هو البريتور فيريوس نيقوماخوس فلافيانوس Virius Nicomachus Flavianus كان على رأس المؤيدين لإيوجينيوس في روما(١). وحتى يتم استجلاء حقيقة موقف فلافيانوس حري إجابة بعض التساؤلات مثل: هل شارك في هذا الحدث الجلل تعصبًا لمعتقداته الدينية؟ وإذا لم يكن كذلك فما هي دوافعه الحقيقية؟ وأخيرًا متى انضم إلى حركة إيوجينيوس؟

جاء فلافيانوس في كتابي روفينوس وسوزومين وثنيًا مُتعصبًا؛ فذكرا أنه أوهم إيوجينيوس بأن الأقدار اختارته ليعتلي العرش، ويُعيد إلى الوثنية أمجادها(٢). ويُفصّلُ روفينوس في روايته عن أحداث ما قبل معركة فريجيدوس: "أن الوثنيين لدى إصرارهم على التجديف بارتكابِ أخطاءٍ جديدة

=The Theodosian code and Novels and sirmondian constitutions, trans. & commentary by: C. Pharr, 1st ed. Princeton university press, 1952, (16.10.7- 9), p. 473;

وأكدًا عليها مُجددًا في سنة ٣٩١م، وفرضا الغرامات على من يُخالفها. انظر:

CTh, 16.10.10- 11, p. 473؛ أيضًا: عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ص ٢٧.

وقد كانت هذه الإجراءات ثقيلة الوطأة على وثنيي مجلس الشيوخ ومُثقفي روما. وهم يُمثلون العائلات الأرستقراطية الرفيعة، فأوفدوا الخطيب المُبرز كوينتوس سيماخوس ليُقابل الإمبراطور ثيودوسيوس في مدينة ميلان عام ٣٩١م، ويُراجعه في بعض مراسيمه. ولكن الإمبراطور لم يلتفت إليه، وأوعز إلى واليه على مصر في العام نفسه بتطهير الإسكندرية من أدران الوثنية، ما أدى إلى تدمير معبد السرابيوم، وإحراق مكتبته. انظر:

Philostratus and Eunapius: the lives of the Sophists, Trans. W. C. Wright, London & New York, 1922, p. 421; Socrates, 5, 16; Sozomenus, 7, 15.

وممن تكفل بالرد على سيماخوس الشاعر المسيحي أورليوس برودنتيوس، فأنكر على الوثنيين الذين هم أقلية ضعفاء في مجلس الشيوخ، جرأتهم على أن يفرضوا رغبتهم على المسيحيين وهم الأغلبية. انظر:

Prudentius, vol. 1, A reply to the address of Symmachus, Book 1, pp. 395, 397;

وسوف تُعالج الدراسة لاحقًا قضية أغلبية مجلس الشيوخ ولمن كانت في سنوات الدراسة.

(١) ينتمي فلافيانوس إلى أسرة إنيسيا Anicia الضاربة بقِدَم في روما. وُلِدَ سنة ٣٢٤م، وتلقى تعليمًا راقيًا في فنون الخطابة والقانون. وتقلد وظائف إدارية في عدة أقاليم بين إيطاليا وأفريقيا، ووصل إلى رتبة بروقنصل وبريتور. وحصل اثنان من أولاده أيضًا على وظائف إدارية. ويُنسب إليه كتاب في التاريخ أسماه الحوليات. ظل على مكانته وتقديره زمن الإمبراطور ثيودوسيوس، حتى أعلن تأييده لـ "إيوجينيوس" عام ٣٩٣م، وانتهى الأمرُ به إلى أن أزهق روحه بيده سنة ٣٩٤م، بعد هزيمة الأخير. انظر:

Dill, Samuel. Roman society in the last century of the western empire, London, 1920, pp. 19- 20; O'Donnell, James. the Career of Virius Nicomachus Flavianus, *Phoenix*, vol. 32, No. 2, 1978, pp. 129- 136.

(٢) Rufinus, the Church History, 11. 33; Sozomenus, Eccles. History, 7. 21.

مارسوا التضحيات الوثنية، وآذوا روما بدماء أضحياتهم، واستخدموا أحشاء الشياة في العِرافة، ليؤكدوا لـــ إيوجينيوس أن النصر مُقدّرًا له. لقد انغمس فلافيانوس– الوثني الكبير– في طقوسٍ فظيعة. ولكن الرب أظهر مُعجزاته، فسلَّط عليهم الرياح، وهزم عُصبة إيوجينيوس"[١]. وقد أكد سوزومين نبوءة فلافيانوس بالنصر، وأشار إلى تعلق إيوجينيوس بعِرافة الأضحيات[٢]، من ثمَّ تُلمح هاتان الروايتان إلى أن فلافيانوس كان مُغاليًا في وثنيته، وأنه كان مُحرّضًا على دحر المسيحية، بيد أن هاتين الروايتين لم تردان في أي مصدرٍ مسيحي آخر، ولا حتى زوسيموس الوثني[٣]، مما يلقي بظلال الشك عليهما.

وقد تناول معتقدات فلافيانوس كتابان آخران، يُنكران مسألة مغالاته في الوثنية، أولهما: مجموع خطابات سيماخوس الذي أفرد لـــ فلافيانوس واحد وتسعين خطابًا[٤] لم يذكر في أحدها تعلقه بالعرافة وعمل الطقوس الوثنية، بل أنه في بعضها يعيب عليه تقصيره في حضور احتفالات أقيمت في روما للمعبودات القديمة[٥]. وثانيهما: كتاب "ساتورناليا" Saturnalia الذي أشاد بثقافة فلافيانوس؛ فصوره مُلَّمًا بالآداب الكلاسيكية، مُغرمًا بمطارحة أشعار فرجيل[٦].

---

(١) Rufinus, the Church history, 11. 33.

(٢) Sozomenus, Ecclesiastical history, 7. 21;
كانت الدعاية الكنسية منذ الآباء الأوُل ترفض العِرافة والتنبؤ إذا ارتبطت بالأضحيات الدموية. انظر:= Dawson, Religion and Culture, London, 1948, pp. 90- 91.= وثيودوسيوس نفسه لم يذهب لحرب إيوجينيوس قبل حصوله على عِرافة يوحنا الطيبي أحد رهبان مصر. انظر: هستوريا موناخوروم، ترجمة: بولا البراموسي، ص ٦٩؛ أيضًا: Palladius, 35, 1- 2; Sozomenus, 7. 21; Theodoret, 5. 24

(٣) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 54. 2.

(٤) Mcgeachy, John. the Editing of the letters of Symmachus, *Classical Philology*, vol. 44, No. 4 (Oct., 1949), p. 227.

(٥) Symmachus, Epistolae, Ed. Otto Seeck, 1883, Lib. 2, No. 7, 34, 36 .

(٦) Macrobius, The Saturnalia, Ed. Ludwig von Jan, 1852, 1. 5. 13; 1. 24. 17.
ساتورناليا مأخوذة من ساتورن إله الحصاد عند الرومان، وهو كتاب يعرض تصورًا لمحاورات طريفة في مناحي الأدب والدين والسياسة دارت في بيت الوثني فتيوس برايتكستاتوس، وكان فلافيانوس وسيماخوس من الحاضرين. وبالنظر في موضوعاته ظنَّ كثيرٌ من الباحثين أن الساترناليا ومؤلفه مكروبيوس يرجعان إلى القرن الرابع الميلادي، ولكن أثبتت الدراسة والبحث أن هذا الكتاب تم تأليفه سنة ٤٣٠م، وأن صاحبه كان مسيحيًا. انظر:
Cameron, Alan. The Date and Identity of Macrobius, *The Journal of Roman Studies*, Vol. 56, Parts 1 and 2 (1966), pp. 25-38; Kaster, Robert. Studies on Macrobius` Saturnalia, 1st ed. Oxford university press, 2010, pp. 4- 5.

من ذلك تشجَّعَ آلان كاميرون على القول بأن فلافيانوس كان وثنيًا نمطيًا لا يعرف المُغالاة وإنكار الآخر(١)، وعزى إلى روفينوس اختراع الخُرافات والأكاذيب عن فلافيانوس ومعركة فريجيدوس التي آمن بها وصدَّقها جُلُ أصحاب المصادر المسيحية، ما جعل المعركة تنحرف عن وِجهتها السياسية إلى وِجهةٍ دينية(٢). وقد أكد كاميرون أن روابط الصداقة كانت تجمع بين الإمبراطور ثيودوسيوس وفلافيانوس بالنظر إلى إرثه الاجتماعي والوظيفي(٣)، واستدلَّ على هذه الصداقة بأن الأخير أهدى الأول كتابه "الحوليات" Annales(٤).

ويذكر جيوفياني شيكوني Cecconi أن الصداقة انتهت بين الطرفين في سنة ٣٩٢م بسبب اتّبَاع سياسة جديدة في القسطنطينية تزامنًا مع تصاعد وتيرة التنصير وتوالي التشريعات المستهدفة للوثنية، ثم محاولة إبعاد فلافيانوس وحاشيته عن المسرح السياسي في الغرب الإيطالي، تمهيدًا لتعيين مسيحيًا محلّه. وعليه لم يجد فلافيانوس مناصًا من أن ينضم إلى حركة إيوجينيوس عساه يسترجع مكانته(٥).

---

(١) Cameron, Alan. The last pagans of Rome, 1st ed. Oxford univ. press, 2011, p. 717.

(٢) Ibid, pp. 93- 101.

(٣) Ibid, pp. 75 Ff.

(٤) هذا الكتاب مفقود اليوم. على أنه يتضح من خلال المصادر التي اعتمدت عليه أن فلافيانوس سار فيه على نهج حوليات تاكيتوس، فأكمل تاريخ الرومان حتى القرن الرابع. وقد تناوله الباحثون بالدراسة وخلصوا إلى أنه دُوِنَ بين عامي ٣٨٨- ٣٩٠م. وأهم الكُتّاب الذين اعتمدوا عليه: ماركلينوس ويونابيوس وزوسيموس وبطرس البطريق Patrician ويوحنا الأنطاكي، وصولًا إلى سيدرينوس وزوناراس. انظر:

Festy, Michel. Le début et la fin des "Annales" de Nicomaque Flavien, *Historia*, Bd. 46, H. 4 (4th Qtr., 1997), pp. 465- 478; Cameron, The last pagans of Rome, pp. 627 Ff; The Fragmentary Latin histories of late antiquity (AD 300- 620), Ed. trans. & commentary: L. Van Hoof & P. V. Nuffelen, 1st ed. Cambridge university press, 2020, the introduction, pp. 37- 45.

والنص الذي يُثبت إهداء فلافيانوس حولياته لـــ ثيودوسيوس موجود على قاعدة حجرية مُتبقية من نَصُب أقيم سنة ٤٣١م في ساحة تراجان بروما، بناء على أوامر الإمبراطورين ثيودوسيوس الثاني وفالنتيان الثالث، لتكريم ذكرى فلافيانوس الذي كان الخزي قد لحقه سنة ٣٩٤م بعد هزيمة إيوجينيوس وموته في فريجيدوس؛ فأمر ثيودوسيوس بتحطيم تماثيله في روما وإزالة النقوش التكريمية المُخصصة له، ومنع أسرته من إظهار الحزن عليه. إلا أن جهود حفيده وعضو مجلس الشيوخ إيبوس نيكوماخوس دكستر Dexter أثمرت عن إقامة هذا النصب التكريمي.

Hedrick, History and Silence, pp. 1- 5; The Fragmentary Latin histories, p. 45.

(٥) Cecconi, Giovanni. Alan Cameron`s Virius Nicomachus Flavianus, in " the Strange death of pagan Rome: Reflections on a historiographical controversy, Ed. R. Lizzi Testa, 1st ed. Berpols: Belgium, 2013, pp. 156, 158;=

ويلتقط أودونيل O'Donnell ووليام/ فريل William & Friell طرف الخيط فيؤكدّوا أن فلافيانوس لم يُظهر تأييده لإيوجينيوس إلا في منصرف سنة ٣٩٣م، حين دخل الأخير إيطاليا، أي بعد مرور أكثر من عام على تتويجه إمبراطورًا غربيًا(١). وتوضح ميشيل سالزمان أن انضمام فلافيانوس للحركة كان لدوافع اجتماعية واقتصادية أكثر منها دينية، وتُضيف – ومعها جيليان ميتشيل– أن فلافيانوس كان مُنزعجًا مما وصل إليه حال الإمبراطورية، وكان قَلِقًا من تصاعد نفوذ الأسقف أمبروز الذي أمسى في درجة الحاكم الفعلي للقسم الغربي من الإمبراطورية، بل ورُبما فاق الإمبراطور الشرقي قوة. وقد شهد فلافيانوس في نهاية العام ٣٩٠م كيف أُذِلَّ ثيودوسيوس بيد أمبروز على عتبة كنيسة ميلان(٢)، مما أخوفه على مصير روما، ليس على موروثها الوثني وحسب ولكن على جديدها الاجتماعي والاقتصادي، لا سيما وأن فلافيانوس كان ينتمي إلى النُخبة المُتنفذة في مجتمع روما(٣).

=كان ثيودوسيوس قد عين أبوديميوس Apodemius حاكمًا على الليريا في صيف سنة ٣٩٢م، عقب موت فالنتنيان بقليل، وبحلول شتاء سنة ٣٩٣م ضَمَّ إليه أفريقيا. انظر: CTh. 12. 12. 12؛ مما أخوف فلافيانوس أن يحل أبوديميوس مكانه حاكمًا على إيطاليا أيضًا. راجع:

Salzman, Ambrose and the usurpation of Arbogastes and Eugenius, p. 200.

(١) O'Donnell, the Career, pp. 132- 136; William, Stephen. & Friell, Gerard. The empire at pay, 1st ed. Routledge: London, 1994, pp. 115- 116.

(٢) في حادثتين أجبر "أمبروز" الإمبراطور ثيودوسيوس على الخضوع له؛ الأولى: عندما أُحرق سنة ٣٨٨م معبد يهودي وكنيسة للفالنتينيين في كاللينيكوم، إحدى بلدات ميسوبوتاميا فيما بين النهرين، بتحريض أسقف هذه المدينة، فما كان من الإمبراطور ثيودوسيوس إلا أن ألزم مسيحيي هذه الناحية ببناء معبد جديد على نفقتهم، الأمر الذي أغضب أمبروز، فأرسل خطابًا تحذيريًا إلى الإمبراطور، ما اضطره إلى التراجع.

the Letters of St. Ambrose, No. 41; Paulinus of Milan, pp. 204- 205;

والحادثة الأخرى عندما جرى قتل النائب الإمبراطوري في مدينة سالونيكا على يد بعض أفرادها، إثر شغب وقع سنة ٣٩٠م، فما كان من ثيودوسيوس إلا أن أوقع مذبحة في سكان هذه المدينة راح ضحيتها حوالي سبعة آلاف، ما أغضب "أمبروز" مجددًا، وأنذر الإمبراطور بالحرمان الكنسي ما لم يُطهر يديه من الدماء بالغفران والتوبة، وأذعن ثيودوسيوس هذه المرة أيضًا. راجع التفاصيل في:

the Letters of St. Ambrose, No. 51; Paulinus of Milan, pp. 205- 206; Theodoret, Ecclesiastical history, 5. 17; Sozomenus, Ecclesiastical history, 7. 25.

انظر ترجمة خطابات أمبروز في: عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ٤/ ١٨٥ وما يليها. وقد ذكر جون مالالاس أن خمسة عشر ألف قتيل ذهبوا ضحايا مذبحة سالونيكا. انظر:

John Malalas, Chronicle, trans. E. Jeffrey et. al., 1st ed. Melbourne, 1986, 13. p. 188.

(٣) Salzman, Ambrose and the Usurpation, p. 199; Mitchell, The Religious world of Q. Aurelius Symmachus, pp. 256- 257.

يتَّضح إذن مما سبق أن فلافيانوس سقط ضحيةً لدعاية المصادر المسيحية التي كان لها الأثر البالغ في تناول النزاع من منظور أيديولوجي. ولا يعني هذا استبعاد الوازع الديني بوصفه أحد أسباب انضمام فلافيانوس إلى إيوجينيوس، ولكنه يجيء في مرتبةٍ ثانوية. وأما الأسباب الرئيسة فتكمن في الدوافع الاجتماعية والاقتصادية، التي يأتي تفصيلها لاحقًا. وهذا يُخالف السياق العام الذي التزمه شارلز هدريك Hedrick في تفسيره لموقف فلافيانوس، إذ يرى: "أن الدين كان مُشجِّعًا لا محالة لـ إيوجينيوس على اغتصاب العرش الغربي، وأن فلافيانوس دعمه لأسبابٍ دينية"(١).

ومما شجَّع أصحاب المصادر المسيحية على الدعاية المُضادة أن ثيودوسيوس أتى بأفعال وإجراءات عقب انتصاره على إيوجينيوس عام ٣٩٤م كانت في جوهرها لصالح المسيحية. وبدت كأنها السبب الرئيس لحربهما، ولم تأتِ نتائجًا طبيعيةً لزحف التنصير على المُجتمع الغربي، منذ إعلان المسيحية دينًا رسميًا في ميلان سنة ٣١٣م(٢). كما أن المصادر المسيحية منذ الربع الأخير من القرن الرابع ومرورًا بالقرن الخامس الميلاديين قَيَمت موقفها وأقامته على أساس مصدرٍ واحد هو أمبروز Ambrose، أسقف ميلان ولسان حال الكنيسة الغربية. وبالتالي جرّمت وثوب إيوجينيوس على العرش الغربي على أساس ديني، فقط لأن ثيودوسيوس – المسيحي التقي- رفض الاعتراف به(٣). ويكفي القول أن "روفينوس" كره كل ما هو غير مسيحي، وجعل كلمة وثنية مرادفًا لأي ممارسة أو طقس لم تنص عليه الكنيسة(٤)، ليكون دليلًا على المغالاة في التعصب وإنكار الآخر.

ومما يجدر ذكره أن ثيودوسيوس لم يثبت عنه إكراه الوثنيين على اعتناق المسيحية، أو أنه حرمهم من الوظائف العامة في الإمبراطورية(٥) على الأقل حتى مُستهل تسعينيات القرن الرابع، وزوسيموس لم يتهمه بذلك. بل كان ثيودوسيوس صديقًا للفيلسوف والخطيب الوثني ليبانيوس Libanius، ومنحه وظيفة فخرية: محافظًا بريتوريًا. وعيّنَ الفيلسوف الوثني تيمستيوس Themistius مُهذبًا ومعلما لولده أركاديوس(٦). كما حفظ لآباء الوثنية في العالم الغربي-

---

(١) Hedrick, History and Silence, p. 71.

(٢) See: Salzman, Ambrose and the Usurpation of Arbogastes and Eugenius, p. 194.

(٣) Hedrick, History and Silence, p. 49; Mitchell, Stephen. A History of the later roman empire A D (284- 641), 1st ed. London, 2007, pp. 88- 89.

(٤) Rufinus, the Church history, 11. 33.

(٥) Jones, The Later Roman empire, vol. 1, p. 169.

(٦) Jones, Christopher. Between pagan and Christian, 1st ed. Harvard university press, 2014, p. 26;

أيضًا: عبد الحميد، الفكر المصري، ص ٢٤- ٢٥؛ عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ٤/ ١٦٥؛ وليبانيوس (٣١٤- ٣٩٣م) أحد أشهر الخطباء والفلاسفة الوثنيين، درّس في أثينا والقسطنطينية ونيقوميديا وأخيرًا=

برايتكستاتوس Praetextatus وفلافيانوس وسيماخوس- منازلهم الرفيعة(١). وليس مبالغًا قبول الرأي القائل بأن الوثنية – رغم التضييق عليها- بقيت ماثلة ومنافسة للمسيحية، على الأقل حتى مطلع الربع الأخير من القرن السادس الميلادي(٢).

وبمراجعة رواية زوسيموس عن إيوجينيوس لا يصفه بالوثني؛ فقد امتدح خصاله وقال إنه كان مُعلمًا لقواعد اللغة وفن البلاغة، قبل أن يلحق بالعمل في بلاط الإمبراطور فالنتنيان في مدينة فيين Vienne بغالة. وصار صديقًا ل"أربوجاست" قائد جيوش الغرب، حتى أنه كان لا يُخفي عنه سرًا(٣). ويؤكد سقراط ذلك مُضيفًا: "أن إيوجينيوس ارتقى في بلاط الإمبراطور فالنتنيان الثاني إلى وظيفة رئيس موظفي البلاط الإمبراطوري *magister scrinorum*(٤).

= في موطنه أنطاكية حيث توفي، ومن أشهر تلاميذه يوحنا ذهبي الفم. وقد تركت كتاباته تأثيرًا واضحًا في الإمبراطور جوليان المرتد، فضلًا عن بعض الكتاب المسيحيين في القرن الخامس الميلادي، مثل المؤرخ سقراط. انظر:

Cribiore, Raffae. Libanius the Sophist: Rhetoric, reality, and religion in the fourth century, 1st ed. Cornell university press: Ireland & London, 2013, see the introduction; Ross, Alan. Libanius the historian? Praise and the presentation of the past in Or. 59, "*Greek, Roman, and Byzantium Studies*", 56, 2016, 293- 320.

تيمستيوس أحد أكبر الفلاسفة واللغويين والمشتغلين بالمنطق الأرسطي، عاش في الفترة (٣١٧- ٣٨٥م)، كان وثنيًا ولكنه حظي بتقدير أباطرة الشرق المسيحيين. له جملة مؤلفات، ركزّ فيها على تقديم أعمال أرسطو. وله مجموعة خطابات أو تقارير بالغة الأهمية، تمَسُ الواقع السياسي والاقتصادي والديني حتى ثمانينات القرن الرابع.

Todd, Robert. Themistius, 1st ed. Cornell University Press, U. S. A, 2003, pp. 59- 61; Bolgov, N. N. Themistius and his works in the context of cultural continuity, *Tractus Aevorum* 1 (2). Fall 2014 (Nov.), pp. 175- 184.

(١) See details in: Dill, Roman society, pp. 21- 24; Cameron, Alan. Theodosius the Great and the regency of Stilico, pp. 247- 280 "*Harvard Studies in Classical Philology*", vol. 73 (1969), p. 252.

فتيوس برايتكستاتوس (٣٢٠- ٣٨٤م) كان من أشهر وثني روما الأرستقراطيين والمدافعين عن عباداتها القديمة، وقد تقلّد وظيفة حاكم إيطاليا حتى وفاته، وحاول مراجعة الإمبراطور جراتيان في سياسة التنصير. انظر:

Mitchell, Religious world of Symmachus, pp. 148- 151.

(٢) Jones, Between pagan and Christian, pp. 30- 32.

(٣) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 54. 1- 2.

(٤) Socrates, Ecclesiastical history, 5, 25;

وقد ظهرت هذه الوظيفة بشكل خاص في القرن الرابع الميلادي، بعد أن تعاظم الطاقم البيروقراطي في القصور الإمبراطورية. ويُشرف صاحب هذه الوظيفة على ثلاثة أقسام إدارية؛ قسم الأرشفة the *Scrinia memoriae*، وقسم المكتبة *Libellorum*، وقسم البريد أو الإنشاء *Epistularum*. انظر:

Bunson, Matthew. Encyclopedia of Roman Empire, U. S. A, 1994, pp. 625, 898.

ولم يثبت عن إيوجينيوس أنه كان فردًا بين جماعة المُثقفين الوثنيين في روما، وهذا أمبروز Ambrose نفسه أسقف مدينة ميلان ولسان حال الكنيسة الغربية في هذه الفترة لم يُكفّر إيوجينيوس لدى اعتلائه العرش، بل في خطاب وجّهه إليه اعترف به إمبراطورًا مسيحيًا شرعيًا(١). ولم يُنكر عليه شيئًا سوى أنه منح هدايا وعطايا لوثني مجلس الشيوخ وآخرين متنفذين في روما، مما عدّه تدنيسًا للمقدسات المسيحية، فخاطبه بقوله: "يُمكن القول أيها الإمبراطور المَهَيب أنك لم تُقدّم تعويضًا للمعابد (الوثنية)، ولكنك منحت هباتٍ إلى رجالٍ في مواقع وظيفية مُهمة، وهم للحق وثنيين. وتعرف أننا نحن الأساقفة نحفظ في القلب قصية الرب...أدعوك أيها الإمبراطور إلى تذكر أنه مهما عظُمت السلطة الإمبراطورية فسلطان الله أعظم ... وواجبك أيها الإمبراطور يُحتم عليك أن تكون أكثر خشوعًا للرب الحي الأعلى منزلة وسموًا، وأن ترفض كل ما يُخالف شريعته المُقدسة(٢). ويُضيف باولينوس الميلاني أن إيوجينيوس لم يوُقف مُخصصات مالية على الوثنيين وحسب، بل وافق أيضًا على إرجاع مذبح النصر إلى بهو مجلس الشيوخ، دونما اكتراث لعقيدته(٣). هذه الرواية انفرد بها

---

(١) Some of the principal works of St. Ambrose, tr. H. De Romestin, et. al., in " Select Library of Nicene and post- Nicene fathers of the Christian church, vol. 10, New York, 1896, letter No. 57; Ambrose, Letters, ed. liebeschuetz, pp. 255- 261.

(٢) Some of works of St. Ambrose, letter. 57. 6- 7; Paulinus of Milan, p. 207; راجع الترجمة العربية في: عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ٤/ ١٦١- ١٦٥.

(٣) Paulinus of Milan, pp. 206- 207.

جاءت ربّة النصر (*Νίχη*) في الميثولوجيا الرومانية على هيئة امرأة مُجنّحة واقفة على كُرة، وفي يدها إكليل الغار. أقيم لها تمثالٌ يعلو مذبحًا في بهو مجلس الشيوخ، حيث كان الأعضاء يُدلون بالقسم أمامه مع جلوس كل إمبراطور جديد للحكم، ويُقدّمون النذور والصلوات، ويحرقون البخور. وقد بقي هذا المذبح في موضعه إلى سنة ٣٥٧م، حين أمر بإخراجه الإمبراطور قنسطنطيوس الثاني. ولكن أرجعه ثانية الإمبراطور جوليان (٣٦١- ٣٦٣م) إبان ردته الوثنية، وتركه على حاله الأباطرة جوفيان (٣٦٣- ٣٦٤م)، وفالنتيان الأول (٣٦٤- ٣٧٥م).

Sheridan, James. The Altar of Victory- paganism`s last battle, pp. 186- 206 "*L`Antiquité Classique*", tom. 35, fasc. 1, 1966, pp. 186- 187; Curran, John. Pagan city and Christian capital: Rome in the fourth century, 1st ed. Clarendon press. Oxford, 2000, pp. 191 Ff;

وفي سنة ٣٨٢م قام الإمبراطور جراتيان متأثرًا بتوجيه "أمبروز" أسقف ميلان بإلغاء النفقات المالية الممنوحة لرجال الدين الوثنيين، ولمعبد فستا. وأمر بإزالة مذبح النصر من بهو مجلس الشيوخ، مع الإبقاء على تمثال إلهة النصر الذي لم يجد الأعضاء المسيحيون بأسًا من بقائه، إذ اعتبروه رمزًا ملائكيًا. راجع:

Chadwick, Henry. The Early Church, 1st ed. Penguin Books: Middlesex, England, 1967, p. 167; Chenault, Robert. Rome without emperors: the revival of senatorial city in the fourth century, PHD: University of Michigan, 2008, pp. 239- 259. =

باولينوس، وبالنظر إلى أنها جاءت بعد انقضاء أمر إيوجينيوس بأكثر من عشرين سنة يكون من الأحرى إعادة النظر فيها.

والمُلاحظ أن "أمبروز" في خطابه إلى "إيوجينيوس" لم يشتد عليه، واكتفى بمغادرة ميلان حين علم بنزول الأخير إيطاليا في نهاية عام ٣٩٣م، ومكث في توسكانيا يراقب عن كثب ما الذي يتمخض عنه قابل الأيام(١). فلّما وقعت معركة فريجيدوس، وحُسم الأمر لصالح ثيودوسيوس، هرول "أمبروز" يكتب له مُهنأً بالنصر؛ ضاربًا أروع مثل للدبلوماسي الذي يعرف كيف يتغير مع تغير الحال(٢)، حينئذٍ أظهر سُخطه على "إيوجينيوس"، وحوّل النزاع الذي كان سياسيًا وانتهى إلى صراعٍ ديني باقٍ ومُستمر. وشَرَع يمارس الدعاية الدينية بدون النظر إلى حقيقة القضية، وانشغل بأدلجة الصراع مصورًا طرفيه على أنهما: إمبراطورًا يقف في حوزة الحق وينصره القدير، وخصومًا غير مؤمنين يتمسكون بالباطل، ويُعينهم الشيطان. والتمس لدعايته أن تقوم على أساسٍ واحد هو إرادة الله، ولا شيء وراء ذلك؛ فمهارة ثيودوسيوس وكفاءته وقوة جيشه وتخطيطه العسكري وشراسة جنوده القوط جميعهم لا يُغني عنه شيئًا، إنما هي المشيئة الإلهية التي وفقته للنصر. ولذلك بدا طبيعيًا أن يَقْبلَ الذين كتبوا بعد أمبروز روايته الخُرافية عن أحداث معركة فريجيدوس في سبتمبر ٣٩٤م.

على هذا الأساس وجَّهَ خطابين إلى الإمبراطور ثيودوسيوس في الشهرين التاليين على هذه المعركة؛ وصف في أولهما إيوجينيوس "بالمُغتصب التافه الذي دنس الحُرمات"(٣). وعقَّبَ بقوله: "إن

= وقد رفع سيماخوس ممثل الحزب الوثني مُلتمسًا إلى جراتيان، يناشده بإعادة النظر في قراراته، وأوصل في الوقت نفسه الأعضاء المسيحيون مُلتمسًا إلى البابا داماسوس الأول (٣٦٦- ٣٨٤م)، يُطالبون بإمضائها. فأحال البابا ملتمسهم إلى الأسقف أمبروز الذي رفعه إلى جراتيان. وكانت النتيجة أن رفض الأخير مُقابلة موفد الحزب الوثني لمجلس الشيوخ. انظر:

Duchesne, Louis. Histoire ancienne de l`église, tom. 2, paris, 1922, p. 635;

وعندما صار الحكم إلى الإمبراطور فالنتنيان الثاني راسله الخطيب سيماخوس سنة ٣٨٤م، وكان وقتها مُحافظًا على مدينة روما. انظر: اعترافات أوغسطين، ص ٩٤؛ لإقناعه بإعادة مذبح النصر، وإعادة امتيازات معبد فستا.

Symmachus, Relationes, in " Prefect and Emperor; the Relationes of Symmachus A. D 384, trans. H. Barrow, 1st ed. Clarendon press: Oxford, 1973, Relatio. No 3.

فأحال "فالنتنيان" الرسالة إلى أمبروز الذي فند مزاعم سيماخوس، وحرَّضَ الإمبراطور على رفض مُلتمسه:

St. Ambrose, letter No. 17, 18; Ambrose of Milan: letters and speeches, pp. 61- 94; also: Evenepoel, Willy. Ambrose vs Symmachus: Christians and pagans in AD 384 "*Ancient Society*", 29 (1998- 1999), pp. 283- 306.

(١) Paulinus of Milan, life of St. Ambrose, p. 207.

(٢) Liebeschuetz, Ambrose & John Chrysostom, p. 60.

(٣) Some of the principal works of St. Ambrose, letter 61. 1- 2.

الأباطرة الآخرين كانوا إذا حققوا النصر أقاموا أقواسًا وطقوسًا للاحتفال، ولكن حريٌ بجلالتكم أن يُقام احتفال نصركم في بيت الرب، وأن يُقدّم قربان الشكر كاهن الرب(١). وأعلن أنه أقام قُدّاسًا في كنيسة ميلان في نوفمبر ٣٩٤م، احتفالًا بنصر الإمبراطور المؤمن على أعداء الرب. وعندما تقدّم إلى المذبح ليضع قربان الشكر أمسك في يده الأخرى بخطابٍ كان وصله من ثيودوسيوس، ورفعه عاليًا كدلالة رمزية ليُظهر امتنان الإمبراطور للرب الذي بفضله وحده انتصر على الخُطاة(٢). ويُعلّق مايكل مكورميك McCormick على ذلك بقوله: "إن أمبروز في هذه اللحظة حول القضية كُليةً إلى صراعٍ ديني"(٣).

وفي خطابه الثاني تعمّد أمبروز أن يُذكّر الإمبراطور بأن نصره إنما كان من الله القدير، ورجاه أن يعفو عن بقايا أتباع إيوجينيوس(٤). وقد حاولت ميشيل سالزمان التماس العذر لـ "أمبروز" في شدّته على إيوجينيوس، تقول" إنما كان يُظهر ولائه للإمبراطور ثيودوسيوس، خشية أن يتهمه بالنفاق إذ سبق وأن خاطب "إيوجينيوس" بلقب الإمبراطور، ولذلك حول القضية من الطابع السياسي إلى الطابع الديني(٥).

على أن "أمبروز" تمادى في دعايته، ففي تأبينه لـ " ثيودوسيوس" أواخر فبراير ٣٩٥م شبّهه بالنبي يعقوب كونه حارب الشِرك، وأنه طرح بعيدًا كل مظاهر الوثنية، وأودع في طي النسيان جميع احتفالاتها وطقوسها(٦). وأكّدَ أن الله أيدّه برياح أعمت عيون أعدائه في معركة فريجيدوس(٧)، مثلما أيد نبيه إليشع برياح أعمت أعداءه أمام مدينة السامرة(٨). ثم وضعه مع الإمبراطور جراتيان في

---

(١) letter, 61. 4.

(٢) letter 61. 5.

(٣) McCormick, Michael. Eternal victory: Triumphal rulership in late antiquity, Byzantium and the early medieval west, 1st ed. Cambridge university press, 1986, pp. 108- 109.

(٤) St. Ambrose, letter 62. 4; for more details: Ambrose, Letters, ed. liebeschuetz, pp. 216- 220; Paulinus of Milan, p. 207.

(٥) Salzman, Ambrose and the Usurpation of Arbogastes and Eugenius, pp. 206- 207.

(٦) Ambrose, Consolation on the death of Emperor Theodosius, pp. 308- 309.

(٧) Ibid, pp. 311- 312.

312.

(٨) سفر الملوك، إصحاح ٦: ١٤– ٢٣. والعجيب أن التشبيه نفسه أو قريب منه استخدمه الشاعر الوثني كلوديان في مدائحه للإمبراطور هونوريوس سنتي ٣٩٦، و٣٩٨م، فتحدّث عن الرياح التي أعانت ثيودوسيوس على أعدائه. والمؤكد أن هذا الشاعر كان حاضرًا لتأبين الإمبراطور ثيودوسيوس، وسمع بأذنيه كلمات أمبروز، وأعجب بها. انظر:

Claudian, Panegyric on the Third and Fourth Consulship of the Emperor Honorius (A.D. 396, 398), published in Loeb Classical Library, 1922, pp. 277, 279, 293.

في النعيم الأبدي، مُبرّرًا ذلك بأنهما: "شخصين طيبين مناصرين للعقيدة"، وأسكن في المُقابل مكسيموس وإيوجينيوس جهنم لأنهما: "بائسين وطالحين، تجرّءا على حمل السلاح في وجه أنصار الرب"(١). وتُعلّقُ فاليري جاماش Gamache:" أن أمبروز هاهنا برع في تطويع مديحه للأباطرة حسب مُجريات الأحداث، فتأبينه لـــ "ثيودوسيوس" انتهى به إلى عِليين، وجعل إيمانه هو السبيل الوحيد لحفظ الإمبراطورية(٢).

ويبدو أن هذا التأبين بلغ صداه القسطنطينية(٣)، فنجد يوحنا ذهبي الفم Chrysostom يُلبس ثيودوسيوس في عظة ألقاها سنة ٣٩٩م الصفات نفسها التي ألبسها إياه "أمبروز" ، مُنوهًا إلى الخوارق التي حباه الله بها(٤). وعلى أية حال لم يجد "ذهبي الفم" ما يمنعه من موافقة "أمبروز" في هجومه على إيوجينيوس، ويضعه حسب رأيه في قعر جهنم، إذ كان يُنافق الإمبراطور أركاديوس (٣٩٥- ٤٠٨م) بمدحه أباه ثيودوسيوس(٥).

ولو راجعنا الروايات عن إيوجينيوس في بقية مصادر القرنين الرابع والخامس الميلاديين نجد روفينوس يقول أنه لم يكن مسيحيًا مُخلصًا(٦)، ويوافقه على هذا برودنتيوس(٧) وسوزومين(٨). وهذا

---

(١) Ambrose, Consolation on the death of Emperor Theodosius, pp. 324- 325.
ماجنوس مكسيموس كان قائد الجيوش الإمبراطورية في بريطانيا. دبَّرَ قتل الإمبراطور جراتيان وتولى العرش الغربي في الفترة (٣٨٣- ٣٨٨م)، وقد هزمه ثيودوسيوس وقتله، وسيأتي الحديث عنه لاحقًا.

(٢) Gamache, Valerie. Éloge et Critique de l` empereur chez Ambroise de Milan et Symmaque: au confluent de deux conceptions idologiques du pouvoir impérial romain, Master, Université de Montréal, 2011, pp. 24, 61.

(٣) خدم شماسٌ يوناني اسمه جيرونتيوس Gerontius تحت توجيه أمبروز في كنيسة ميلان، وقد لحق بالقسطنطينية قُبيل وفاة الأخير، ويبدو أنه نقل فحوى التأبين. انظر:
Sozomenus, 8. 6; also: Rapp, Claudia. Hagiography and Monastic Literature between Greek East and Latin West in Late Antiquity, in "*Cristianita d`Occidente E cristianita d`Oriente (Secoli Vi- XI)*, 24- 30 April, 2003, p. 1256.

(٤) Homily 6 (against Catharos); Voir: Paschoud, Francois. Pour un mille six centième centième anniversaire: le Frigidus en ébullition, pp. 275- 280 "*Revue internationale d'histoire et d'archéologie (IVe- VIIIe Siècle)*, 1994, p. 279;
وعن ذهبي الفم (٣٤٧- ٤٠٧م). انظر: Liebeschuetz, Ambrose & Chrysostom, pp. 100 Ff.

(٥) Salzman, Ambrose and the Usurpation of Arbogastes and Eugenius, p. 216.

(٦) Rufinus, the Church history, 11. 33.

(٧) Jones, The Later Roman empire, vol. 1, p. 168; Cameron, last pagan, p. 123;
أيضًا: عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ٤/ ١٦٠.

(٨) Sozomenus, Ecclesiastical history, 7. 22.

وهذا الاتهام لا يرقى إلى التكفير، وهو تحوير بعض الشيء لما ورد عند أمبروز[١]. وأما حولية القياصرة[٢] وبالاديوس الأسبوني[٣] وسقراط[٤] وثيودوريت[٥]، وصولًا إلى المتأخرَين زوناراس[٦] زوناراس[٦] وميخائيل السرياني[٧]، فأقصى ما ألحقوه به كان لفظ "الطاغية". وقد أضاف ثيودوريت[٨] ثيودوريت[٨] حكاية تقول: "إن إيوجينيوس كان يرفع على رأس جيشه مُجَسَّمًا للمعبود هرقل، مما عرَّضه لسخرية ثيودوسيوس الذي انتصر بعون الصليب. وربما تأثَّرَ ثيودوريت بإشارة وردت عند أوغسطين مفادها: أن ثيودوسيوس عَمَدَ بعد معركة فريجيدوس إلى تحطيم مُجسمات لهرقل وجدها في ممرات جبال الألب[٩]، فربط ثيودوريت بين وجود هذه التماثيل وحركة إيوجينيوس، رُغم أن أوغسطين لم يُبَيّن من أقامها. وقد أشار هربرت بلوك Bloch إلى أن القائد "أربوجاست" هو من أقامها[١٠]، ورجَّح وليام هاريس Harris أنها أقيمت تزامنًا مع وثبة إيوجينيوس[١١]، غير أنهما لم يسوقا دليلًا واحدًا يثبت هذا الزعم. ويرى كاميرون أنها كانت موجودة من قبل[١٢]، ويؤكد الآثاري دوفال Duval أن وجود هذه التماثيل كان من بقايا الحقبة الوثنية[١٣]. وتُعلّق سالزمان: إن ثيودوريت

---

(١) كان سوزومين مُطّلعًا على أعمال أمبروز، ومتأثرًا بها بشدة. انظر:
Rapp, Hagiography and Monastic Literature, pp. 1255- 1257.

(٢) Epitome De Caesaribus, 48. 7.

(٣) Palladius of Aspuna, The Lausiac History, Trans. W. K. Lowther Clarke, 1st ed. Society for promoting Christian knowledge: London, 1918, 35. p. 121.

(٤) Socrates, Ecclesiastical history, 5, 25.

(٥) Theodoret of Cyrus, Ecclesiastical history, 5, 24.

(٦) Zonaras, Epitomae Historiarum, Lib. 18, Tom. 3, p. 85- 86.

(٧) ميخائيل السرياني، تاريخه، ج١/ ٢٤٧.

(٨) Theodoret, Ecclesiastical history, 5. 24.

(٩) أوغسطين، مدينة الله، ج١، ٢٧٠/٥.

(١٠) Bloch, A new document of the last pagan, pp. 236 – 237.

(١١) Harris, Religion on the battlefield from the *Saxa Rubra* o the Frigidus, p. 446.

(١٢) Cameron, The last pagans of Rome, p. 107.

(١٣) Duval, Yves-Marie. Les aurea fulmina des Alps julienne: le Rôle des statues divines dans les lieux stratégiques, dans "Westillyricum und Nordostitalien", ed. R. Bratoz, 1996, pp. 95- 108;

ومما يعكس ازدواجية الدعاية الكنسية أن الكُتّاب الذي اتّهموا إيوجينيوس بإقامة تماثيل عدّوها من بقايا الوثنية لم يعيبوا على ثيودوسيوس أنه غضب على سُكان أنطاكية وكاد يفتك بهم عندما حطموا تماثيلً له ولزوجته وولده، وذلك بعد أن ضاق بهم الحال جرّاء ضرائبه التي أثقلت كاهلهم. انظر التفاصيل في:
Sozomenus, Eccles. History, 7. 23; Theodoret, Eccles. History, 5. 19.

في روايته السابقة أراد أن يُبرز حتمية انتصار الرب وممثله ثيودوسيوس على المعبودات الوثنية وممثلها إيوجينيوس(١).

ويُلاحظ أن روفينوس– الذي نقلت عنه جُلّ المصادر المسيحية– لم ينقل كاملًا تفاصيل الخطاب التأبيني لـ "ثيودوسيوس"، لأن أمبروز ألقاه شفاهة في القدّاس، وتم تحريره فيما بعد. ويرى الباحث أن باولينوس الميلاني كاتب سيرة "أمبروز، هو الوحيد الذي رأى خطاب التأبين(٢)، وربما هو هو الذي حررّه، لأنه خطَّ الألفاظ نفسها التي صاغها "أمبروز" في تكفير "إيوجينيوس"(٣)، كما أنه تحدّث عن المعاجز التي حبا الله بها ثيودوسيوس. وبما أنه قد حبَّرَ سيرة "أمبروز" بين سنتي ٤١٣– ٤٢٢م(٤)، يترجّح إذن أن الخطاب التأبيني ظهر بعد سنة ٤١٣م، وبالتالي لم يطّلع عليه روفينوس الذي خطَّ مؤلفه قبل سنة ٤٠٦م، وتوفي بعدها بقليل(٥).

ويُشار هنا إلى أن فيلوستورجيوس أيضًا عدَّ إيوجينيوس وثنيًا(٦)، بيد أن الحذر واجب في التعامل مع روايته، لأنه كان آريوسيًا مُتعصبًا ولذلك يستوي عنده الوثني والمسيحي المُخالف لمذهبه(٧). كذلك أشار يوحنا النقيوسي إلى أن إيوجينيوس كان يُدّرس الوثنية، ويُمارس السحر والشعوذة(٨). وهذا أيضًا لا يُعتد بروايته التي صنفها في القرن السابع، وربما اطَّلعَ على تاريخ فيلوستورجيوس أو نسخة شعبية من تأبين "أمبروز".

ويُمكن القول إن دعاية "أمبروز" أعملت عملها في الكُتّاب اللاحقين، فقد أكَّدَ أوغسطين: "أن ثيودوسيوس قهر جيش خصمه إيوجينيوس بصلاته وتوسله إلى الله أكثر مما فعل بسلاحه"، ونقل عن الشاعر كلوديان قوله في ثيودوسيوس(٩): "أيها الأمير يا من أحبه الله كثيرًا، السماء تُقاتل معك

---

(١) Salzman, Ambrose and the usurpation of Arbogastes and Eugenius, p. 220.

(٢) See details: Salzman, Ambrose and the Usurpation, p. 209.

(٣) Paulinus of Milan, the Life of St. Ambrose, p. 208.

(٤) Paulinus of Milan, the Life of St. Ambrose, the introduction, Ed. Ramsey, p. 195.

(٥) Thelamon, Francoise. Une Oeuvre destinée a la communauté chrétinne d` Aquilée: l` Histoire ecclésiastique de Rufin, *Antichità Altoadriatiche*, 22 (1982) Aquilée: vol. I, pp. 255- 259.

(٦) Philostorgius, Church history, 11. 2.

(٧) كان فلوستورجيوس مُعاديًا للأباطرة النيقيين فشبه جراتيان بالإمبراطور نيرون (٥٤– ٦٨م)، مُضطهد المسيحيين سنة ٦٤م. Ibid.

(٨) The Chronicle of John, Bishop of Nikiu, 83. 16.

(٩) Claudian, Panegyric on the Third consulation, p. 277.

والرياح تتآمر على عدوك، وتُسرع إلى تلبية صوت أبواقك"[١]. ويؤكد أورسيوس: "إن ثيودوسيوس انتصر بفضل الرب لا بفضل البشر"، وبلغ في دعايته أقصاها حين ذكر" أن ثيودوسيوس رأى في السماء علامة الصليب"[٢]، فشبهه بقنسطنطين الذي تراءى له الصليب قُبيل معركة جسر ملفيان سنة ٣١٣م[٣]. ولذلك لم يكن غريبًا أن يُعلن هربرت بلوك أن معركة فريجيدوس كانت بين صليب الرب والمعبود هرقل[٤].

والحقيقة أن ثيودوسيوس حين خاض معركة فريجيدوس لم يصل إلى تفكير "أمبروز" الديني ولم يعتقد اعتقاده، وإنما كان الأمر يخص خُططه المُستقبلية؛ فهو أراد أن يتحكَّمَ في كامل الإمبراطورية بوضع ولده هونوريوس على العرش الغربي، ورأى في "أربوجاست" وإيوجينيوس مارِقَين يسعيان إلى العرش، وعثرتين في سبيل إنفاذ خُططه. وعليه عَدَّ صراعه معهما حربًا داخلية وحسب[٥].

---

(١) انظر: مدينة الله، ج١، ٥/ ٢٧٠، وقد وثق أوغسطين في رواية كلوديان لأنه حضر التأبين بنفسه وسمع كلمات أمبروز هذا من جهة، ومن جهة ثانية لأنه كان وثنيًا، ولذلك فشهادته موضوعية فيما يخص الحدث. ولا يُستبعد أيضًا أن أوغسطين علم بقصة الرياح من باولينوس الميلاني الذي لازمه في هيبو عقب وفاة أمبروز. ويذكر أوغسطين أنه عَرِفَ بعض أخبار المعركة من جنودٍ حضروها. وينسحب الحكم نفسه على أورسيوس الذي صحب أوغسطين زمنًا في هيبو، وخطّ مؤلفه بناءً على نصيحته. ولذلك يترجّح أنه نقل القصة عنه أو عن باولينوس. وعليه يظن الباحث أن ميشيل سالزمان لم تُوفق حين ذكرت أن أوغسطين وأورسيوس نقلا قصة الرياح الإعجازية عن روفينوس. انظر:
Salzman, Ambrose and the Usurpation, pp. 210, 212.

(٢) Orosius, the Seven books, 7. 35; also: Theodoret, Ecclesiastical history, 5. 24.

(٣) يُشير جون ليبشويتز إلى أن تأثير دعاية يوزبيوس القيصري وتمجيده لـــــ قنسطنطين كان واضحًا في في التوجه العام لدعاية أمبروز ومن جاء بعده. وأيّدت كيارا توماسي الرأي نفسه. انظر:
Ambrose of Milan, Ed. Leibeschuetz, pp. 175- 177; Tommasi, Chiara. Coping with Ancient Gods, Celebrating Christian Emperors, Proclaiming Roman Eternity: Rhetoric and Religion in Late Antique Latin Panegyrics, *Helsinki Collegium for Advanced Studies*, No. 20, 2016, pp. 193- 196.

(٤) Bloch, A new document of the last pagan, p. 238 and not. 89.

(٥) عرّف وارن تريدجولد الحرب الداخلية في الإمبراطورية على أنها نزاعًا مُسلحًا يُشارك فيه عددٌ كبيرٌ من من الجنود البيزنطيين على كلا الجانبين وينتهي إلى الكثير من الضحايا. انظر:
Treadgold, Warren. Byzantium, the reluctant warrior, in " Noble Ideals and Bloody realities: Warfare in the middle ages, Ed. N. Christie & M. Yazigi, 1st ed. Brill: Leiden & Boston, 2006, p. 224
وعرّفها يانيس ستورياتيس على أنها صراعًا مُسلحًا يشتعل داخل الإطار السياسي للدولة، ويشهد قتالًا عنيفًا مُتكافئًا بين السلطة الشرعية والغاصبين:. Stouriatis, Civil war in Christian Empire, pp. 92, 96

ويتضّح من رواية زوسيموس أن خيار الحرب لم يكن يسيرًا على ثيودوسيوس، بسبب قوة وجدارة خصميه: "فإيوجينيوس كان خيّرًا وصاحب فضيلة، وقائده "أربوجاست" كان محبوبًا من الجنود"(١). ويؤكّدُ جريجوري التوري- نقلًا عن مؤرخ القرن الرابع سولبيسيوس ألكسندر Sulpicius Alexander - كفاءة إيوجينيوس بقوله: "أنه قاد حملةً لتهديد القبائل الجرمانية حول نهر الراين(٢)، وبذلك يُضيف إلى خِصاله الخبرة العسكرية، لذلك كاد ثيودوسيوس يقبل بإبرام السلام معه لولا تعرضه لضغط زوجه "جالا" Galla - شقيقة فالنتنيان- التي طالبته بالثأر لأخيها من قاتله "أربوجاست"" قائد جيوش إيوجينيوس(٣).

وعودًا إلى فيلوستورجيوس فإنه لم يُشر إطلاقًا إلى الناحية الدينية في وثبة "إيوجينيوس"، وألقى تبعة ما جرى على عاتق ""أربوجاست"" الذي توجَّس من إمبراطوره فالنتنيان أنه يُريد عزله، فسارع إلى قتله، ثم أجلس إيوجينيوس على العرش؛ لكي يكون صنيعته، فيحفظ له مكانته(٤). من هنا تدور الأحداث عند فيلوستورجيوس في الفلك السياسي وهو في هذا يوافق زوسيموس. والأمر نفسه يتضح من رواية المؤرخ سقراط الذي خطَّ مؤلفه بعد فيلوستورجيوس بقليل، إذ أشار إلى رغبة إيوجينيوس و"أربوجاست" في استلاب حكم الغرب الأوربي. ورُغم أن سقراط سَرَدَ- نقلًا عن روفينوس- المَعَاجِز التي حلَّت على أرض فريجيدوس، ومكَّنت ثيودوسيوس من أن يحوز النصر(٥)، غير أن روايته تُلمح إلى أن سبب الصراع كان سياسيًا.

---

(١) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 55. 1, 3- 4.

(٢) Gregoire de Tours, Hist. de Francs, trad. R. latouche, Société d`Edition, Paris, 1963, 1, liv. 2. 9; about Sulpicius, See: Zecchini, Latin Hist, p. 333- 335.

(٣) يذكر زوسيموس أن إيوجينيوس عقب توليته أرسل سفارة برئاسة روفينوس الأثيني إلى ثيودوسيوس للاتفاق على تقاسم الحكم، ولكن الأخير رفض. ويلومه زوسيموس على أنه بدأ الحرب. انظر:
Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 55. 3- 4; 57. 1; Voir: Gamache, Éloge et Critique, p. 60;
=ومما يؤكد رواية زوسيموس أن إيوجينيوس وضع على عملاته الأولى اسم ثيودوسيوس وولده أركاديوس إلى جوار اسمه، وكان يَعُدُّ نفسه إمبراطورًا ثالثًا معهما. ولم يُدرك أن ثيودوسيوس يرفض اشتراكه معه في الحكم إلا في مستهل سنة ٣٩٣م حين أعلن ولده هونوريوس أوغسطسًا على القسم الغربي. انظر التفاصيل في:
The Roman Imperial coinage, Ed. H. Mattingly et al., London, 1951, p. 33 (No. 99, no. 106d), p. 52 (No. 46), p. 83 (No. 32c), pp. 113- 114; William & Friell, Theodosius: The empire at pay, pp. 114- 115; Stouriatis, Civil war, p. 109.

(٤) Philostorgius, Church History, 11. 2.

(٥) Socrates, Ecclesiastical history, 5, 25.

وفي روايتيهما ألقى الكونت مارسلينوس[١] ويوحنا الأنطاكي[٢] تبعات الحدث على عاتق "أربوجاست". ويُلاحظ أنهما لم يُكفّرا "إيوجينيوس" أو أحدًا من أتباعه، ولم يسردا شيئًا عن الرياح الإعجازية في فريجيدوس التي حفظتها جُلُّ المصادر المسيحية. ما يُوضح أنهما جرَّدَا القضية من ثوبها الديني، وألبساها ثوبًا سياسيًا، وقدَّماها ببساطه على أنها مُجرّد نزاع على السُلطة. ثُم من خلال رواية روفينوس نفسه نعلم أن جيش ثيودوسيوس المُشارك في معركة فريجيدوس كان يحوي فِرَقًا من الجرمان الوثنيين، فهو إذن ليس قتالًا مسيحيًا وثنيًا[٣]، ولذلك ذكر صاحب مختصر تاريخ القياصرة أنها كانت حربًا أهلية[٤]. ويُشير أورسيوس إلى أن عشره آلاف من القوط الوثنيين هلكوا في المعركة، ولم يرَ بأسًا من أن يموتوا في سبيل قضية الرب[٥].

ويُعلِّقُ يانيس ستورياتيس Stouriatis بأن الدوافع الدينية في هذه الحرب كانت هامشية، بيد أن الدعاية الكنسية حرصت على تقديمها من زاوية أيديولوجية. وينتهي إلى القول إن النزاع الذي

---

(١) Marcellinus, the Chronicle, trans. B. Croke, 1st ed. Univ. of Sydney, 1995, pp. 5- 6;
يُرَجَّحُ أن مارسيلينوس كان مُحافظًا على الليريا، ومن ثمَّ جمعته صداقة مع جستينان قبل صعوده إلى العرش. وهذا حفظ لمارسيلينوس مكانته السياسية فيما بعد، فظلّ يحمل لقب القُمّس. صعد بحولية القديس جيروم من سنة ٣٧٨م إلى سنة ٥٣٤م. ويُظَنُّ أنه أنهاها قبيل منتصف القرن السادس: Ibid, pp. XIX- XX

(٢) Ioannis Antiocheni Fragmenta ex Historia Chronica, frag. 280;
رجّحَ الباحثون من خلال دراسة بقايا تاريخ الأنطاكي Universal History أن صاحبه كان من سكان القسطنطينية في القرن السابع. واستدلّوا من أوراقه أنه طالع المصادر الوثنية، فضلًا عن المصادر المسيحية= Ibid, see the introduction, pp. 3- 8 Ff; also: Van Nuffelen, Peter. John of Antioch, = inflated and deflated, or: How (not) to collect fragments of early byzantine historians, *Byzantion*, vol. 82, 2012, pp. 437- 450.

(٣) Rufinus, Church History, 11. 33; Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 55. 2- 3; 4. 56.

(٤) Epitome De Caesaribus, 48. 16- 17;
هو كتاب أجرى مسحًا لسير الأباطرة منذ أغسطس وحتى ثيودوسيوس، وينسبه البعض إلى أورليوس فيكتور. Sólym, Márk. The Epitome de Caesaribus and the thirty tyrants, pp. 179- 186.

(٥) Orosius, the Seven Books, 7. 35.
وتعليق أورسيوس هذا لم يُعجِب سالفيان المارسيلي أحد مؤرخي القرن الخامس. وكان في كتابه قد أجرى مُقارنة بين المسيحيين أبناء الرب والبرابرة الجرمان الوثنيين، ورجّح كفة البرابرة، وعدَّهم أفضل من المسيحيين. انظر:
Oeuvres de Salvien, Paris & Lyon, 1833, vol. 1, Liv. 4, pp. 221 Ff.
وقد رجَّحَ البعض أن قوات ثيودوسيوس بلغت مئتي ألف مقاتل لم يمثل المسيحيون بينهم سوى أغلبية طفيفة، وما تبقى كان من الجرمان الوثنيين. انظر: Harris, Religion on the battlefield, p. 448.

استغرق المُدَّة (٣٩٢- ٣٩٤م) بين ثيودوسيوس وإيوجينيوس لم يخرج عن كونه صراعًا داخليًا سياسيًا بالمقام الأول(١).

والحقيقة أن مضمون الدعاية الكنسية يكاد يُقنعنا بأن الإمبراطورية خلال القرن الرابع كانت مسيحية، بيد أن واقع الحال حينئذٍ يقول غير ذلك. ففي الربع الأخير من هذا القرن كانت عبادات قديمة ما انفكت تُمارَسُ في روما، حسبما يظهر من خطابات ليبانيوس(٢). وفي قطعة شعرية وجّهها مسيحي مجهول في ثمانينيات القرن الرابع إلى حاكم إيطاليا "فتيوس برايتكستاتوس"، يعتب عليه أنه سمح لـــــ "سيماخوس" ببناء معبد لربة الزهور *Flora*(٣). والواضح أن الأباطرة تغاضوا عن بناء المعابد الوثنية أو ترميمها في هذه الفترة، شريطة ألا يكون هذا على نفقة الدولة (٤). ولذلك يُؤكد كل من كريستوفر جونز Jones وجستين كودورج أن بعض المعابد الوثنية بقي حتى القرن السادس الميلادي، وأن الذي أقيم منها في الحواضر ظل بمأمن من معاول الهدم(٥). ويُفهم من خطابات إمبروز أن العادات الوثنية كانت لا تزالُ باقية في مجتمع روما؛ ففي خطاب له مُحَرر في سنة ٣٩٣م

---

(١) Stouriatis, Civil war in Christian Empire, pp. 108- 110.

(٢) Libanius: Selected orations, vol. 2, in " Loeb Classical Library", No. 452, trans. A. F. Norman, 1st ed. Harvard university press, 1977, Orations 30, 33.

(٣) Carmen adversus paganos, Trans. R. Pearse, 18 Mai 2018, *https://www.roger pearse.com/weblog/2010/05/18/carmen-adversus-paganos.*

يجزم المؤرخ بلوك بأن هذه القصيدة وُجِهَت إلى فلافيانوس عندما كان مُحافظًا بريتوريًا. انظر:

Bloch, A new document of the last pagan, p. 232;

ولكن مع تقصي البحث الذي قاده هدريك وكاميرون وسالزمان وميتشيل تبَيَّنَ أنها رُفعت إلى برايتكستاتوس، أي أنها كُتبت في تاريخ لا يتجاوز عام ٣٨٤م، حين توفي الأخير. انظر:

Hedrick, History and silence, pp. 60- 63; Cameron, last pagans, pp. 273 Ff; Salzman, Ambrose and the usurpation, p. 199; Mitchell, the religious world, p. 257.

(٤) قام أحد كبار الوثنيين الأرستقراطيين هو تاميزيوس أوجنتيوس أولمبيوس Tamesius Augentius Olympius بتجديد معبد ميثرا في روما سنة ٣٨٢م على نفقته الخاصة. انظر:

Corpus inscriptionurum et monumentorum religionis mithriacae, Ed. M. Vermaseren, Netherlands, 1956, p. 173; also: Walsh, David. The Cult of Mithras, p. 28.

والواضح أن الهدم الذي تعرّضت له المعابد في القرن الرابع كان باجتهادات مسيحية ذاتية، ولم يكن بموافقة الدولة، وقد أكَّدَ ليبانيوس للإمبراطور ثيودوسيوس سنة ٣٨٦م أن هذه المعابد تُعد مراكز فنية حضارية قبل كونها دورًا للعبادة. انظر: Libanius: Selected orations, No. 30.

(٥) Jones, Between pagan and Christian, p. 56; Cudorge, La Destruction des sanctuaires païens par les chrétiens, pp. 132 Ff.

يُحذّرُ من يُدعى " بيترنوس Peternus" أن يُزوج ابنه من حفيدته، ويُنذره أن هذا الأمر يُعدُّ تدنيسًا لحُرمات الرب، ومُخالفًا لناموس الطبيعة"(١).

وورد على لسان بروكوبيوس أن التضحيات الوثنية ظلّت تُمارس مُجتمعيًا في عهد جستنيان (٥٢٧- ٥٦٥م)(٢). ويُشير خطاب للبابا جريجوري الكبير (٥٩٠- ٦٠٤م) إلى بقاء بعض الممارسات الوثنية في جزيرة سردينيا(٣). ويُوضح بيير شيفان Chuvin أن بعض حُكام الأقاليم كانوا يسمحون حتى نهاية القرن السادس بممارسة بعض الشعائر والعبادات الوثنية في مُقابل ضرائب يتربحون بها من وراء ذلك، ويؤكد أن الفلاحين في غالة مارسوا حتى القرن السادس طقوسًا لها علاقة بالعبادات الكلتية القديمة(٤). ويُفهم من بعض خطابات باولينوس النولي أن غالة كانت من أشد بقاع الإمبراطورية تصديًا للتنصير، فلقي الأساقفةُ فيها عنتًا في هدم رموز الوثنية ومعابدها(٥). ولذلك ولذلك لا تُوجد غرابة في أن يكون بعض جنود إيوجينيوس ما زالوا وثنيين، أو أنهم حملوا رموزًا وثنية، إذ أن مُعظم أتباعه جاؤوا من غالة. وقد التمس الأسقف أمبروز لهم العذر، فناشد الإمبراطور ثيودوسيوس أن يصفح عنهم، بعد انتصاره على إيوجينيوس(٦).

مما سبق تبطل إذن التهمة الموجهة لإيوجينيوس بأن وثبته على العرش الغربي جاءت لإحياء الوثنية. ويجب قبول إشارة جون بيوري Bury من أن إيوجينيوس بتقبله بعض الرموز الوثنية، وموافقته على إرجاع مذبح النصر إلى مجلس الشيوخ واستعادة أعضاءه لعائدات المعابد الوثنية إنما

---

(١) the Letters of S. Ambrose, bishop of Milan, London, 1881, No. 60.

(٢) التاريخ السري، ترجمة: صبري أبو الخير، ط١، دار عين، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١١٣- ١١٤؛ أيضًا:
Harl, Kenneth. Sacrifice and Pagan Belief in Fifth- and Sixth-Century Byzantium, *Past & Present*, No. 128 (Aug., 1990), pp. 7-27; Salzman, Michele. The End of Public sacrifice: Changing definitions of sacrifice in post- Constantinian Rome and Italy, in " Ancient Mediterranean sacrifice", 2011, pp. 167- 177.

(٣) Letters of Gregory the Great, Ed. Philip Schaff, Letter No. 41.

(٤) Chuvin, Pierre. A Chronicle of the last pagans, trans. B. A. Archer, 1st ed. Harvard university press, 1990, p. 130.

(٥) كان التنصير في غالة أواخر القرن الرابع يعمل عمله في الأرستقراطيين والنُخبة أكثر مما أثّرَ في العامة.
Letters of St. Paulinus of Nola, trans. P. G. Walsh, 1st ed. Newman press: New York, 1966, No. 18; for more details see: Salzman, Michele. The Making of aChristian aristocracy: Social and religious change in the western roman empire, 1st ed. Harvard university press, U. S. A, 2002, p. 90.

(٦) Some of the principal works of St. Ambrose, letter 62. 4.

كان يُناور سياسيًا ليكسب بذلك حشود المواطنين في روما(١). لكن المؤرخ نفسه قد بالغ ولا شك في قوله أن استعادة الوثنية كانت محورًا رئيسًا لانتفاضة روما ضد القسطنطينية(٢)، إذ هي كانت وسيلة لا غاية. أيضًا بالغ هربرت بلوك(٣) حين صرّح أن تصرفات "إيوجينيوس" الأخيرة تشي بأن الوازع الديني كان سببًا رئيسًا في وثوبه على العرش الغربي. وافترض أن صعوده على العرش جاء ثمرةً لجهود مُضنية، بذلها في القرن الرابع الآباء الثلاث: برايتكستاتوس وفلافيانوس وسيماخوس لاستعادة الوثنية(٤). وذهب هدريك Hedrick في الوجهة نفسها مُعلّقًا: "أن قادة الحركة: إيوجينيوس و"أربوجاست" وفلافيانوس حتى وإن كانوا لا يرون في أنفسهم قادةً لثورة دينية فإن الروايات المسيحية خلال السنوات اللاحقة جعلت منهم ذلك"(٥). ويؤكّدُ دوشسن Duchesne أن القادة الوثنيين استخدموا إيوجينيوس لتحقيق حلمهم في استعادة الوثنية(٦). والمعنى نفسه تقريبًا ورد عند جستين كودورج، ولذلك عدَّت الصراع نوعًا ما حربًا دينية(٧). ولا شك أن هذه الآراء جنحت إلى المبالغة، والصحيح الذي يُمكن تصوره أن إيوجينيوس استعمل فلافيانوس بوصفه وثنيًا بارزًا للحصول على تأييد مجلس الشيوخ وأرستقراطيي روما.

---

(١) كان وثنيو مجلس الشيوخ قد أرسلوا بذلك التماسًا إلى الإمبراطور فالنتنيان الثاني في صيف العام ٣٩٢م، فوجدوا الإمبراطور قد مات، وتم تنصيب إيوجينيوس الذي رحب بالالتماس ووافق عليه. انظر:
William & Friell, Theodosius: The empire at pay, p. 115; C. M. H, vol. 1, p. 246.

(٢) Bury, John. History of the later roman empire, from death of Theodosius I to the death of Justinian (395- 565 A D), London, 1923, vol. 1, p. 369.

(٣) Bloch, A new document of the last pagan, pp. 226- 231;
وقد استشهد بلوك على وثنية إيوجينيوس بالعملة التي ضرب صورته عليها، حيث برز ملتحيًا على خلاف الأباطرة المسيحيين. وكأنه أراد أن يتشبه بالإمبراطور جوليان الذي كان على العملة ذا لحية أيضًا. Ibid, p. 226, n. 60 والنقود التي عليها وجه إيوجينيوس هي تريميس *Tremis* وزن ١.٥٢ جرام وسيليكوا *Siliqua* وزن ٥/١ جرام، وكليهما ضُرب في مدينة تريـر Trier بين سنتي ٣٩٢- ٣٩٤م. see: Imperial portraiture on romans coins. واستند بلوك (p. 234) أيضًا على نقش عُثر عليه في مدينة= = أوستيا المتاخمة لروما، استنتج منه أن إيوجينيوس أمر بإصلاح معبد لـ "هرقل" بين سنتي ٣٩٣- ٣٩٤م، على أن ذلك لا يعدو التخمين.

(٤) Bloch, A new document of the last pagan, pp. 240- 241.

(٥) Hedrick, History and Silence, pp. 49- 51, 71- 72.

(٦) Duchesne, Histoire ancienne de l`église, 2, pp. 638- 639. 72.

(٧) Cudorge, La Destruction des sanctuaires païens par les chrétiens, p. 118. 639.

وقد ذكر فرانسوا باشو أن إيوجينيوس كان يُغازل أعضاء مجلس الشيوخ، ليدعموا قضيته، أي أن خطوته نحوهم كانت دبلوماسية[١]. وأوضح كاميرون أن إيوجينيوس كان مُضطرًّا إلى دفع ثمن تأييد أعضاء السناتو له[٢]. وأكد نيل مكلاين Mclynn أن إيوجينيوس اتخذ هذه الخطوة بعد فقده الأمل في الوصول إلى تراضي مع "ثيودوسيوس" وأدرك أن المعركة معه باتت وشيكة، ولذلك التمس الدعم من أعضاء الشيوخ[٣]. وأيّدت هذا أيضًا فاليري جاماش[٤]. والباحث يتفق مع هذه الآراء التي تدفع الحافز السياسي إلى أن يأخذ حيزًا وراء تصرفات "إيوجينيوس"، ويُمكن القول أنه سلك طريقًا وسطًا بين الوثنيين والمسيحيين، فتوقف عند الموافقة على إرجاع المذبح[٥]، ورفض في الوقت نفسه إرجاع مُقدّرات معبد فستا، على أنه أباحها للأعضاء الوثنيين في مجلس الشيوخ، الذين تصرفوا فيها بشكل شخصي[٦]، مما أثار سُخط الأسقف أمبروز كما تقدّم ذكره.

مما سبق يتضح جلّيًا كيف انتهى تأثير الدعاية المسيحية إلى حصر الحادثة داخل الإطار الديني، واختزاله في دائرة ضيقة لا تخرج عن حيز التنصير. في حين تُلمح رواية زوسيموس إلى أن هناك أسبابًا أخرى كانت خلف الحادثة، تتعلق بالنواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

التداعيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وراء صعود إيوجينيوس.

يُعَدُّ شرح حال القرن الرابع سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا أمرًا ضروريًا لبلوغ صورة واضحة عن أحداث الدراسة، وألقاء الضوء على علاقة روما بالقسطنطينية بما مهّد لظهور إيوجينيوس. فمنذ أن عرفت الإمبراطورية الحكم الثُلاثي عقب وفاة الإمبراطور قنسطنطين الأول (٣٠٥- ٣٣٧م)، انقسمت تدريجيًا إلى شطرين. ولم يكن هذا تقسيمًا إداريًا مبسطًا، بل أدى إلى ظهور عالمين اتخذا تدريجيًا ملامحهما؛ عالم غربي كان وثنيًا عماده الثقافة اللاتينية، وتحول بخُطى بطيئة إلى المسيحية، وعالم شرقي وُلِدَ مسيحيًا وانحاز رويدًا إلى الثقافة الإغريقية[٧].

---

(١) Paschoud, Réflexions sur l'idéal religieux de Symmaque, p. 217.

(٢) Cameron, Theodosius the Great and the regency of Stilico, p. 251.

(٣) Mclynn, Neil. Ambrose of Milan: church and court in a Christian capital, 1st ed. University of California press, 1994, pp. 344- 346.

(٤) Gamache, Éloge et Critique de l` empereur, p. 60.

(٥) Paulinus of Milan, the Life of St. Ambrose, pp. 206- 207; also see: Dill, Roman society in the last century of the western empire, p. 20.

(٦) Jones, The Later Roman empire, vol. 1, p. 168; C. M. H, vol. 1, p. 246.

(٧) See details in: Curran, Pagan city and Christian capital, pp. 70- 115.

115.

وكان الثقل السياسي بداية الأمر يميل لصالح القسطنطينية، والإمبراطور القابع فيها هو المُتحكّم في شؤون الإمبراطورية، إلى أن وقعت هذه المدينة تحت ضغط الجرمان منذ النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. وصارت أقاليم النصف الشرقي من أوربا نهبًا للقبائل الجرمانية، خاصة القوط الذين نزلوا البلقان وهددوا القسطنطينية، ما جعل الدفاع عن هذه المدينة عبئًا ومغرمًا على الأباطرة الشرقيين(١). ونتيجة لذلك عاد الميزان السياسي يميل لصالح روما، فغدا الأباطرة الغربيون هم الذين يُعينون نُظرائهم الشرقيين. ورُغم أن أباطرة القسم الغربي هجروا مُقامهم أحيانًا في إيطاليا، غير أن الساسة والمثقفين في روما كانوا يلمسون الأمان والنفوذ والقوة لوجود أقوى الإمبراطورين في جوارهم، مُتجاهلين جميعًا مشاكل الشرق التي تركوا مواجهتها لتعيسي الحظ ممن يقع عليهم الاختيار للجلوس في القسطنطينية. ويُمكن القول أن هذه الاعتبارات جعلت الإمبراطور جراتيان (٣٧٥-٣٨٣م) يختار ثيودوسيوس لحكم الشرق في منصرف عام ٣٧٨م، وصدّره لمواجهة القوط الغربيين على جبهة الدانوب والبلقان(٢).

على أن ضغط الجرمان على حدود الإمبراطورية لم يُسبب اضطرابًا سياسيًا وعسكريًا وحسب، بل ولَّدَ أيضًا متاعب اقتصادية، أخطرها كان تناقص الذهب في القسم الغربي الذي أضرَّ ولا محالة بضرب النقود. وقد حاول الإمبراطور فالنتنيان الأول تدارك المشكلة، فدفع أخيه فالنز الإمبراطور الشرقي إلى توقيع مرسومًا معه سنة ٣٦٥م، يفرض على عُمال مناجم الذهب أن يدفع واحدهم ضريبة سنوية مقدارها ثمان سكروبلات *Scruples*، وأن يمنح باقي ما يُعثر عليه من الذهب للدولة، نظير سعرًا مناسبًا، يقبضه في صورة دنانير منخفضة القيمة. وقد ألحق هذا المرسوم عظيم الضرر بعمال المناجم، فكان بعضهم يلجأ إلى الفرار من مدن القسم الغربي للإمبراطورية. مما اضطر فالنتنيان إلى أن يُصدر إلى نوابه الأوامر بأن يُراقبوا سواحل إيطاليا وغالة، وأن لا يسمحوا بخروج عمال المناجم، وأن يُغرِّموا ربابنة السفن الذين قد يُهربون هؤلاء العمال بأن يدفع واحدهم خمس قطع صوليدي *solidi*(٣).

---

(١) William & Friell, Theodosius: The empire at pay, pp. 10- 20.

(٢) Philostorgius, Church history, 9. 17; Orosius, the Seven books, 7. 34; Theodoret, Ecclesiastical History, 5. 5; Zonaras, 18, Tom. 3, pp. 83- 84;

ومعروف أن القوط الغربيين هزموا إمبراطور القسم الشرقي فالنز (٣٦٥- ٣٧٨م) في موقعة أدرنة في أغسطس عام ٣٧٨م، واستباحوا بعدها البلقان، وهددوا القسطنطينية. للتفاصيل راجع:

Ammianus Marcellinus, History, Book 31, pp. 473- 481 Ff.

(٣) Jones, The Later Roman empire, vol. 1, p. 148; 148;

كان فالنتنيان يرغب في تنشيط روافد التجارة، ولكن سياسة الإكراه اضطرت التُجّار إلى التحول إلى الزراعة، ومما زاد الأمر سوءًا قرار اتخذه الإمبراطوران نفسيهما سنة ٣٧٢م بأن تُدفع ضريبة التجارة *collatio lustralis* ذهبًا فقط، بعد أن كانت تُحصّل ذهبًا أو فضة(١). ويذكر أرنولد جونز Jones أن هذه الإجراءات جاءت تلبيةً للمُتطلبات العسكرية لجيوش الإمبراطورية، ولتحصين نهري الراين والدانوب، ولصرف مستحقات الضباط(٢)، على أن القسم الغربي كان الأكثر تحملًا لهذه الأعباء.

مع ذلك يُمكن القول أن كلا الإمبراطورين كان حريصًا في الإنفاق، حتى عُزيَ إليهما التقتير والإمساك(٣). على أن الإمبراطور جراتيان خالف سياستهما، يقول زوسيموس: "أن هذا الإمبراطور قرَّبَ إليه عناصر من قبائل الألان، وأغدق عليهم من الامتيازات وأموال الخزانة ما أثار حفيظة ضُباطه، فسخطوا عليه وتمنوا الخلاص منه، ولذلك أيدوا ماجنوس مكسيموس، وأعلنوه إمبراطورًا على القسم الغربي(٤). وقد أشار كاتب سيرة القديس مارتن إلى أن مكسيموس صرّحَ بأنه لم يطلب الحُكم مُختارًا، ولكن جنوده فرضوا عليه ذلك(٥). والمعلومة نفسها ذكرها أورسيوس(٦)؛ بما يشي أن التمرد على جراتيان كان مرجعه اقتصاديًا.

وارتكب ثيودوسيوس الخطأ نفسه حين رحَّبَ بالقوط داخل الإمبراطورية منذ اتفاقيته معهم في ٣ أكتوبر سنة ٣٨٢م(٧)، وجعلَ منهم عِماد جيشه، فأغدق الامتيازات والألقاب على ضباطهم وقادتهم،

ظهر الصوليدي عملةً ذهبيةً أول مرة سنة ٣١٠م. وقد أمر بضربه قنسطنطين الكبير ليحل محل العملة التي كانت سائدة قبلًا، وهي أوريوس *aureus* (١,٦٠ جرامًا ذهبيًا). وكان الصوليدي يُعادل ٧٢% من وزن الجُنيه الذهبي، وسرعان ما أصبح عُملة رسمية لعموم الإمبراطورية. وأمر قنسطنطين بضرب نقود ذهبية أخرى من فئات أقل: مثل نصف صوليدي (*simissis*)، وواحد ونصف سكروبلوم (*scripulum*) وتعادل ٣/ ٨ من قيمة الصوليدي. وفي خريف عهده أصدر قنسطنطين عملتين فضيتين، هما: ميليارينس *miliarense* وسيليكوا *siliqua* وتُعادلان على الترتيب ١/ ١٨ و١/ ٢٤ من قيمة الصوليدي. للتفاصيل راجع:
Sear, David. Roman coins and their values, 4th ed. Spink: London, 1988, p. 13

(١) Jones, The Later Roman empire, vol. 1, p. 148.
(٢) Ibid, p. 149.
(٣) Ibid, p. 169.
(٤) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 35. 2- 3.
(٥) Sulpitius Severus, Life of St. Martin, in" A Select library of Nicene and post-Nicene fathers of Christian church, vol. 11, p. 13.
(٦) Orosius, Seven Books, 7. 34.
(٧) Orosius, the Seven books, 7. 34- 35; Pacatus Drepanus, panegyric to the Emperor Theodosius, 1st ed. Liverpool University press, U. K, 1987, 22, p. 34 for more details see: Wolfram, Herwig. History of the Goths, Trans. Thomas J. Dunlap, 1st ed. University of California press, Berkeley & Los Angeles, 1990, pp. 131- 132.

وما يلحقها من رواتب ومُستحقات مالية. ويُعلق زوسيموس على ذلك بقوله: "إن ثيودوسيوس سمح بتعيين عددًا كبيرًا من البرابرة – القوط– ضُبَّاطًا في الجيش، وهؤلاء بمرور الوقت صاروا يحتجمون لأنفسهم أموالًا من رواتب الجنود وبدلاتهم(١). ويُضيف أنهم أخربوا الأقاليم ونهبوا الأسواق، وأساءوا إلى السُكان"(٢). وكان من نتيجة ذلك أن تراخى جنود الإمبراطورية، وتخاذلوا عن القتال، حسب وصف أحد الضباط المُعاصرين، فكانوا يرغبون عن حمل الأسلحة الثقيلة كالخوذات والزرديات والدروع، في الوقت الذي استخدمها الجرمان، مما كتب لهم دومًا التغلب على جيوش الإمبراطورية(٣).

وزاد من هموم الإمبراطورية أن ثيودوسيوس كان مُسرفًا في نفقاته. ويشرح زوسيموس كيف أتلف هذا الإمبراطور الخزانة العامة، حيث ضمَّ إلى بلاطه وحاشيته عددًا غفيرًا من الخدم والخصيان الذين كان لهم نفوذٌ وتأثيرٌ على رجال الدولة. وأسرف في إقامة الموائد الإمبراطورية التي ذهبت مثلًا في الترف والبذخ، مما أنهك الخزانة، فاضطر إلى بيع الوظائف العامة والإدارات الإقليمية(٤). ويختم ويختم زوسيموس بقوله: "كان صاغة الذهب والصيارفة وأصحاب المِهن الوضيعة يحملون شارات موظفي البلاط، ويبيعون إدارات الأقاليم لمن يدفع أكثر"(٥).

ولا جَرَمَ أن تقسيم الإمبراطورية على هذا النحو واستقبالها لجحافل الجرمان شجَّع عددًا من القادة الطامعين على تسلق سُلَّم السلطة خلال القرن الرابع، وكانوا في سبيل ذلك يشقون عصا الطاعة

---

(١) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 27. 1- 3.

(٢) Ibid, 4. 30. 4- 5.

(٣) Vegetius, Epitome of military science, trans. N. P. Milner, 2nd ed. Liverpool university press, 2001, pp. 8 Ff; for more details: Treadgold, Warren. Paying the army, in "Production and prosperity in the Theodosian period, Ed. I. Jacobs, 1st ed. Peeters: leuven- Walpole, 2014, pp. 303 Ff.

وكان زوسيموس دقيقًا حين أشار أيضًا إلى أن الجرمان اعتادوا حمل الدروع الثقيلة. انظر:

Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 25. 2.

(٤) Zosime, Histoire Nouvelle 4. 28. 1- 4; Philostorgius, Church History, 11. 2. 2.

(٥) Zosime, Histoire Nouvelle 4. 28. 1- 4; 4;

ويُخالف ذلك تمامًا المديح الذي وجَّهته حولية القياصرة لثيودوسيوس:Epit. De Caesaribus, 48. 8- 18 وعلى أية حال كانت الأحكام الصادرة على ثيودوسيوس رهنًا بتوجهات وأهواء الكُتاب أنفسهم. ولكن سوء إدارته المالية كان واضحًا في فرض الضرائب المتوالية على الولايات الشرقية، ما أدّى إلى تفجّر الثورات أحيانًا.

See: Hepplewhite, Mark. Theodosius and the limits of Empire, 1st ed. Routledge, London & New York, 2020, pp. 43 Ff.

ويُعلنون الخروج على الأباطرة الشرعيين(١). وقد جاءت وثبتا ماجنوس مكسيموس (٣٨٣- ٣٨٨م) وإيوجينيوس (٣٩٢- ٣٩٤م) خير دليل على ذلك.

وتوضَّح حادثة انتزاع مكسيموس العرش الغربي أن الصراع بين روما والقسطنطينية ذلك الوقت لم يكن دينيًا. فمكسيموس لم يكن وثنيًا، بل كان مؤمنًا على الطريق القويم، مُحاربًا للهرطقة الآريوسية، كما ورد على لسان المؤرخ ثيودوريت أسقف كيروش(٢). وكال له المديح مؤرخ سيرة القديس مارتن، مؤكدًا أنه حارب الهرطقات في غالة(٣). والأسقف أمبروز أيضًا لم يُشكك في عقيدة مكسيموس ولا في شرعية حُكمه، وبذل مساعيه لتوطيد أواصر السلام بينه وبين وفالنتنيان الثاني(٤)، على أنه انقلب عليه عندما أعلن ثيودوسيوس الحرب عليه في أواخر عام ٣٨٧م(٥). حينئذٍ تجلَّت ازدواجية دعاية أمبروز؛ فصرّحَ أن يدي مكسيموس المُلطختين بدماء الإمبراطور جراتيان لن تتناولان الشراكة الكنسية(٦). وأرسل يستحث الإمبراطور الصغير فالنتنيان وأمه جستينا Justina على الهرب من إيطاليا، قبل أن يبلغها هذا الطاغية(٧).

---

(١) Stouriatis, Civil war in Christian Empire, p. 107.

(٢) Theodoret, Ecclesiastical history, 5. 12, 14.

(٣) Sulpitius Severus, the Sacred History, in" A Select library of Nicene and post-Nicene fathers of Christian church, vol. 11, 49- 51.

(٤) the Letters of S. Ambrose, No. 21. 1.

قَبِلَ فالنتنيان أن يحكم الغرب شريكًا لـــــــــ "مكسيموس"، وكان لأمبروز دورًا في ذاك الاتفاق. انظر:
Socrates, Eccles. History, 5. 11; Sozomenus, Eccles. History, 7. 13.

(٥) Pacatus Drepanus, panegyric to the Emperor Theodosius, pp. 36- 52;

يقول زوسيموس أن ثيودوسيوس كان يرغب في مصالحة مكسيموس، واقترح تقسيم الغرب بين الأخير وفالنتنيان، ولكن جستينا والدة الإمبراطور فالنتنيان رفضت، وأصرَّت على حرب مكسيموس: Zosime, 4. 44. 1- 2.

(٦) See: Paulinus of Milan, the Life of St. Ambrose, Ed. Ramsey, p. 203;

وكان موقف أمبروز هذا يُعد نكرانًا للجميل لأن مكسيموس هو من تدخل ورفع عنه الأذى والتضييق اللـــذين مارستهما عليه جستينا- والدة فالنتنيان الثاني- الآريوسية التي كرهت النيقيين، وعليه ناصبت أمبروز العداء سنة ٣٨٦م. انظر: اعترافات القديس أوغسطينوس، ص ١٧٨- ١٧٩؛

ولم تتراجع إلا بعد أن هدَّدها مكسيموس بالزحف على رأس جيشه من مقره في مدينة تريز إلى ميلان. انظر:
Epistolae Imperatorum Pontificum Aliorum, in "Collectio Avellana", Ed. Otto Guenther, 1895, 1, Epist. 39, pp. 88- 90; Theodoret, Ecclesiastical History, 5. 13- 14.

(٧) the Letters of St. Ambrose, No. 24; Paulinus of Milan, p. 203;

وينسحب الحكم نفسه على أمبروز في تعاطيه مع وثوب إيوجينيوس، فقد صمت قرابة العام بعد اعتلاء الأخير العرش الغربي، وكان يُخاطبه بلقب الإمبراطور. ثم سرعان ما تنكَّرَ له بعد أن أعلن ثيودوسيوس الحرب عليه، وصوب عليه سهام الدعاية الكنسية، ولذلك ليس مُبالغًا القول إنه كان يُناور سياسيًا. وثيودوسيوس بدوره استعمل الدعاية الكنسية لصالحه، وقبِلَ عن طيب خاطر الاتهامات التي كيلت لإيوجينيوس بعد سماحه بإقامة طقوسًا واحتفالات وثنية في روما سنتي ٣٩٣- ٣٩٤م، ولذلك وبفضل صديقه أمبروز لم يعد ثيودوسيوس يحتاج تبريرًا للحرب(١).

على أن هذه التغيرات المُتسارعة استلزمت من نُبلاء روما ومثقفيها أن يُظهروا موقفهم، وهم وقفوا منذ البداية يخشون من ذهاب نفوذ مدينتهم، خاصة مع سياسة التنصير المتصاعدة التي انتهجها ثيودوسيوس، وأدت إلى تصاعد أصوات المسيحيين من أبناء العامة وطبقة العبيد، ما أنذر بتغير إثنولوجي في مجتمع روما(٢)، لذلك شعروا بالتهديد؛ لأنهم – حسب وصف كليفورد جريتز Greetz- مثَّلوا عبر مئات السنين نخبة حاكمة ولفيفًا من الرموز المُسيطرين سياسيًا واجتماعيًا. وكانوا حريصين أشد الحرص على تعزيز بقائهم وقوتهم بسلسلة متوالية من الاحتفالات والمراسم والطقوس الدينية التي كانت الدولة تدعمها وتُشجع عليها(٣). ولذلك كان طبيعيًا أن يتحسسوا الخطر من التداعيات الأخيرة المُهددة لكل الهالات والأمجاد التي أحاطوا بها أنفسهم، وأبرز هذه التداعيات: تنصير المجتمع، وسطوع القسم الشرقي للإمبراطورية على حساب القسم الغربي منها.

وتعكس رسائل سيماخوس – أحد أبرز أبناء هذه الطبقة- وتقاريره طرفًا من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تُنبئ عن أسباب أخرى لهبَّة إيوجينيوس غير العامل الديني. فورد في بعض تقاريره أن طوائف المجتمع في روما منذ ثمانينيات القرن الرابع كانت قلقة من جرّاء مشاكل توزيع المنحة الإمبراطورية من القمح(٤)، ونقص في إمدادات الخشب المطلوب لتدفئة حمامات

نلاحظ أن أوغسطين أيضًا كان متأثرا بتوجه وسياسات أستاذه "أمبروز"، فنعت مكسيموس بـ "الطاغية" و"الظالم" و"القاتل". راجع: مدينة الله، ج١، ٥/ ٢٦٩- ٢٧٠. وهذا يعكس كيف كانت الدعاية الكنسية تُعمل تأثيرها. انظر:

Socrates, Eccles. History, 5. 11; Sozomenus, Eccles. History, 7. 13.

(١) William & Friell, Theodosius, p. 116; Stouriatis, Civil war, p. 110.

(٢) Machado, Carlos. The Roman aristocracy and the imperial court, before and after the sack, in "the Sack of Rome 410 A D: The Events, its context and its impact, ed. J. Lipps, et al., (Palilia 28), 2013, pp. 49- 50.

(٣) Greetz, Clifford. Local knowledge: Further Essays in interpretive anthropology, 1st ed. Basic Books, Inc. U. S. A, 1983, p. 124.

(٤) Symmachus, Relationes, No. 40, 3, 5: Heitland, William. Agricola: A study of agriculture and rustic life in the Greco- Roman world from the point of view of labour, 1st ed. Cambridge university press, 1925, pp. 407- 409.

روما[١]، وبسبب فرض ضريبة جديدة عليهم، ما زاد من النفقات الاقتصادية المُلقاة على عاتقهم[٢]، فضلًا عن القلق من عدم إقامة العروضٍ الترفيهية السنوية[٣].

وقد أدرك سيماخوس مثل غيره من الأرستقراطيين أن تغلب الإمبراطور ثيودوسيوس على نظيره الغربي، وتصاعد سياسة التنصير من شأنهما أن يُهددا الموروث الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للنُخبة الأرستقراطية. ولم يُعجب بالمُغالاة في الدعاية الكنسية، فأقبل يُطري من يتمسك بمعبوداته الوثنية، وذلك ليس عن تعصب ولكن إيمانًا بتعددية الفكر والعبادات. ففي خطاب أرسله إلى والده إفيانوس سيماخوس Avianus Symmachus أشاد بسكان مدينة بنفنتو الذين بذلوا جهودًا ذاتية لإصلاح مدينتهم بعد أن مزقها زلزال، ثم امتدح فيهم: "أنهم يُبجلون المعبودات المُعظمة"[٤]. وفي خطابه إلى مُحافظ روما حوالي سنة ٣٨٣م يتألم من رؤيته بعض الأرستقراطيين يهجرون الطقوس الوثنية نفاقًا ورياء[٥]. وأخيرًا كان سيماخوس من المُرحبين بصعود مكسيموس على العرش الغربي، فوجَّه له المديح في سنة ٣٨٧م[٦]. وتُرجّح كل من كريستيانا سوجنو Sogno وجيليان ميتشيل

---

(١) Symmachus, Relationes, No. 37.

(٢) Symmachus, Relationes, No. 3. 12, 14.

(٣) Ibid, No. 6. 2; for more details see: Olszaniec, Szymon. The two prefects of 384- Symmachus and Praetextatus, in "Within the circle of ancient ideas and Virtues", Studies in Honour of Prof. M. Dzielska, ed. K. Twardowska et al., pp. 236- 242

ويُعَدُّ تقديم العروض لإمتاع الجماهير من موروثات الإمبراطورية. وكانت هذه العروض تتنوع بين عروض المسرح وألعاب السيرك والمصارعة، ولكن مع الدعاية الكنسية المتزايدة في القرن الرابع كَثُرَت الأصوات المعترضة على إقامتها. ومع هذا يُشير زوسيموس إلى أن الإمبراطور ثيودوسيوس كان يُقيم العروض المسرحية وسباقات الخيل في القسطنطينية. Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 50. 1 كما حرص أفراد الطبقة الأرستقراطية في روما على إقامتها في مناسبات تقلّدهم للوظائف. وهذا سيماخوس أقام عرضًا ترفيهيًا على شرف نيل ولده فابيوس مميوس وظيفة الكويستورية سنة ٣٩٣م. وأنفق على هذا العرض ما يُقارب مئة وعشرين ألف صوليدي. وكان قد جَلَبَ عددًا من السجناء السكسونيين، وأمر بتجهيزهم للمُجالدة، إلا أنهم خنقوا بعض بأيديهم العارية قبل بدء العرض، ما أدى إلى هلاك تسعة وعشرين منهم، وهذا أغضب سيماخوس كثيرًا. انظر:

Symmachus, Epistolae, Lib. 2. 46.

وللمزيد عن هذه العروض وموقف الإمبراطورية والكنيسة منها. راجع: رمضان، عبد العزيز. سياسة أباطرة أسرتي قنسطنطين وثيودوسيوس تجاه العروض العامة بين الموروث الروماني والأيديولوجية الكنسية، حولية المؤرخ المصري، جامعة القاهرة، يوليو ٢٠١٥.

(٤) Symmachus, Epistolae, Lib. 1, No. 3- 4.

(٥) Symmachus, Epistolae, Lib. 1, No. 51.

(٦) Socrates, 5. 14; also: Matthew, John. Western aristocracies and imperial court A. A. D. 364- 425, 1st ed. Oxford: Clarendon press, 1975, pp. 223- 225 Ff; Curran, Pagan city and Christian capital, p. 214.

Mitchell أن مديح سيماخوس لـــــــ "مكسيموس"، إنما كان بإيعاز من أعضاء مجلس شيوخ روما[١]، وعليه يبدو أن الحزب المسيحي في المجلس كان أيضًا مؤيدًا لجلوس مكسيموس على العرش الغربي، إذ كان متضررًا اقتصاديًا. وتُؤكّد ذلك إشارة لأمبروز، وردت في خطابه التأبيني للإمبراطور فالنتنيان الثاني: "من أن الأرستقراطيين الوثنيين والمسيحيين على السواء طالبوا هذا الإمبراطور سنة ٣٩٢م بعودة الامتيازات – وما يلحقها من تبعات مالية– التي كانوا يُحصلونها من المعابد الوثنية"[٢].

وكان مما زاد من قلق النخبة في روما صعود نجم أمبروز الذي غلب على الكنيسة الغربية[٣]. وقد أزعج فلافيانوس – كما سبق القول– مشهد هذا الأسقف يُذِلُ إمبراطور الشرق ثيودوسيوس سنة ٣٩١م، ويمنعه من دخول الكنيسة إلا بعد إعلان التوبة من خطيئة مذبحة سالونيكا[٤]. حينئذٍ أيقن هذا الأرستقراطي أن قسمي الإمبراطورية ليسا بين إمبراطورين عِدلَيْن، وإنما هي بين أسقفٍ وتابع. وهذا يُصدّقُ ما قاله أمبروز نفسه من: "أن الإمبراطور في تواضع وخشوع أسلَّمَ قياده وسلطانه إلى الله"[٥]. وقد علَّقَ وليام/ فريل على الحادثة بقولهما: "لم يسبق لأحد أن رأى الإمبراطور جاثيًا أمام أسقف. لقد كان أمرًا جللًا، تفوقت به الكنيسةُ على الدولة[٦].

ويُبرر جون ليبشويتز Liebeschuetz تزايد نفوذ أمبروز أن ثيودوسيوس المقيم في القسطنطينية كان من الصعب عليه متابعة شؤون القسم الغربي وأطرافه البعيدة؛ ولذلك أفسح المجال لـــــــ "أمبروز" في إدارة الشطر الغربي من الإمبراطورية[٧]. ولا تُبالغ جيليان ميتشيل في قولها أن "أمبروز" قدَّم في سياسته تجاه الأباطرة البداية والمَثَل لما سوف يقع من الكنيسة ورجال الدين تجاه

ورُغم أن سيماخوس لم يُدرج مديحه لمكسيموس في خطاباته وتقاريره غير أن الجميع سلَّمَ به. وهناك خطابين استدر بهما عطف ثيودوسيوس عام ٣٨٩م، فحواهما ينبئ عن ارتكابه حماقة خطيرة، بما يشي عن جريرة مديحه لمكسيموس. انظر: Symmachus, Epistolae, Lib. 2. No. 13, 32.

(١) Sogno, Christiana. Q. Aurelius Symmachus: A Political Biography, 1st ed. The university of Michigan press, 2006, pp. 68, 70; Mitchell, The Religious world of Quintus Aurelius Symmachus, p. 240.

(٢) Ambrose, Consolation on the death of Emperor Valentinian, 19, p. 274.

(٣) نجح البابا سرجيوس (٣٨٥– ٣٩٩م) بدعم أمبروز في مد أذرع كنيسة روما إلى إسبانيا وغالة والليريا. انظر:

William & Friell, Theodosius, pp. 48- 49; Gamache, Éloge et Critique, p. 40

(٤) Kelly, Christopher. Ruling the later roman empire, 1st ed. the Belknap press of Harvard university press, 2004, p. 223.

(٥) Ambrose, Consolation on the death of Emperor Theodosius, 27- 28; 33- 34.

(٦) William & Friell, Theodosius: The empire at pay, pp. 48- 49.

(٧) Liebeschuetz, Ambrose and John Chrysostom, pp. 260- 261.

السلطة الزمنية طوال ألف سنة لاحقة[١]. والحقيقة أن ذلك جاء نتيجة اعتماد الدولة في عهد ثيودوسيوس المسيحية دينًا أوحدًا مع التضييق على العبادات الأخرى، ما جعل المؤرخ زوسيموس يُعلن أن الدولة بهذا كانت تسير نحو الهاوية[٢].

لقد كان صعود الكنيسة وتنفذها في المجتمع الغربي أمرًا مُحيرًا للطبقة الأرستقراطية وأعضاء مجلس الشيوخ، فهو يُخالف القوانين العلمانية ونواميس الحُكم كما عهدوها، ويُمثّل تدخلًا سافرًا في شئون الدولة. وفوق هذا وذاك رأوا أنفسهم مُهددين من جرّاء تبعات المراسيم الأخيرة لـــــــ ثيودوسيوس بين سنتي ٣٩١- ٣٩٢م التي لا تَمَسُ موروثاتهم العقدية وحسب، ولكن تُنذرهم بضياع مكانتهم وخسران أملاكهم. وعليه بحثوا في وثبة إيوجينيوس عن مخرجٍ لهم من هذا المشهد المُعقد سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا[٣].

وقد شجَّع على الأمل في نفوسهم بروز شخصية القائد "أربوجاست" في القسم الغربي، الذي كان مُتبرمًا من أن ثيودوسيوس – شبيهًا بجراتيان- أدار ظهره للفرنجة، وسعى إلى استبدال قادتهم في الجيش بجرمان أخرين. يقول زوسيموس: "إن أكثر ما أهمَّ ثيودوسيوس كان سقوط العرش الغربي في أيدي أناسٍ ساخطين عليه، فخشي منهم أن يسلبوه ما تحت قدميه"[٤]. ويؤكد كل من مارسيلينوس ويوحنا الأنطاكي أن "أربوجاست" كان يطمع في السيطرة على القسم الغربي من الإمبراطورية[٥]. ولم يستغرب جونز من طموح ""أربوجاست""، إذ يشرح أن القرن الرابع شهد بروز عددٍ من القادة الجرمان وصعودهم إلى مراكز صُنع القرار، ولذلك يرى أن وثبة "أربوجاست" مع إيوجينيوس على القسم الغربي كانت حتمية[٦].

كان "أربوجاست" فرنجيًا صارمًا، وقد التحق منذ عام ٣٨٠م بخدمة الإمبراطور ثيودوسيوس[٧]. وصفه زوسيموس بالشجاعة والخبرة العسكرية والزهد في المال ومُتع الحياة، ما جعله يكسب قلوب الجنود في غالة[١]. وامتدح "أورسيوس" فيه خصال الشجاعة والحكمة والجرأة والقوة[٢].

---

(١) Mitchel, The Religious world of Symmachus, pp. 217- 218.

(٢) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 33. 4.

(٣) William & Friell, Theodosius: The empire at pay, p. 115.

(٤) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 55. 1- 2.

(٥) Marcellinus, Chronicle, pp. 5- 6; Ioannis Antiocheni Fragmenta, frag. 280.

(٦) Jones, The Later Roman empire, vol. 1, p. 342.

(٧) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 33. 1- 2.

والحقيقة أن ظهور مثل شخصية ""أربوجاست"" جاء نتيجة أربعين سنة متّلت خلالها غالة إقليمًا شديد التأثير والخطورة على الإمبراطورية، فجنود غالة لم يشعروا بولاءٍ خالص تجاه الأباطرة الشرعيين(٣). وإنما ولائهم الحقيقي كان لقادتهم الذين يرون في أنفسهم عِماد السلطة الإمبراطورية. ويُمكن القول إن هؤلاء القادة كانوا يُمثلون العائلات الأرستقراطية في غالة، وهم ليسوا بالضرورة رومانًا، بل مُعظمهم كان من الفرنجة. ولذلك عندما تقلَّد "أربوجاست" قيادة جيوش غالة *magister militum* كان يشعر أن التكليف الإمبراطوري هو مجرَّد أمر شكلي، كما توحي روايتا زوسيموس وفلستورجيوس(٤).

وقد جمعت أواصر الصداقة بين "أربوجاست" وأمبروز أسقف ميلان، فكثيرًا ما تناولا الطعام معًا، حسب إشارة باولينوس الميلاني، مؤرخ سيرة إمبروز. ولم يقع الخلاف بين الرجلين إلا عندما أظهر "أمبروز" مُعارضته لسياسة إيوجينيوس، أي في ختام عام ٣٩٣م على التقريب، حين بدت في الأفق نُذُر الحرب القادمة مع ثيودوسيوس. الأمر الذي أثار غضب "أربوجاست" وفلافيانوس، فأعلنا على حد قول باولينوس الميلاني: "أنهما إذا ما كُتب لهما الانتصار على ثيودوسيوس، سوف يحولان كنيسة ميلان إلى إسطبل خيول، وسوف يحملان أساقفتها على الانضمام للجيش"(٥). ويُلاحظ أن هذه الرواية انفرد بها باولينوس، ورُغم أن "أمبروز" بعث بخطابٍ إلى ثيودوسيوس عقب هزيمته لـــــــ "إيوجينيوس"، يُهنأه بالنصر الذي منَّ الله به عليه، ويُكيل التُهم والعيوب لخصومه، إلا أنه لم يذكر شيئًا عن تهديد ""أربوجاست"" هذا، ما يجعل ظِلال الشك تُحيط برواية باولينوس!! وحتى إن صدقت هذه الرواية وأرسل ""أربوجاست"" فعلًا التهديد، فقد قصره على كنيسة ميلان، أي معقل الأسقف "أمبروز"، ولم يتجاوز به إلى كل كنائس الإمبراطورية كما ذهب جونز(٦). والراجح أنه كان يُناور

---

(١) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 53. 1.

(٢) Orosius, the Seven books, 7. 35.

(٣) قدَّمت غالة في الفترة (٣٥٠ – ٣٩٢م) كل الثوار الذين طالبوا بالعرش الغربي: ماجنتيوس ســـنة ٣٥٠م وسيلفانوس ٣٥٥م وجوليان المرتد ٣٦٠م، وحتى مكسيموس الذي بدأ تمرده في بريطانيا لم يُكلـــل لـــه النجاح إلا بجنود غالة، وأخيرًا إيوجينيوس. انظر: Wijnendael, the last romans, pp. 11- 12.

(٤) Zosime, 4. 53. 1; Philostorgius, 11. 1- 2; also: Wijnendael, last romans, pp. 12- 14; وقد احتفظ أربوجاست بالوظيفة نفسها في عهد إيوجينيوس. للتفاصيل عـــن المُســـمى الـــوظيفي *magister militum* وتطوره بين الشرق والغرب في القرن الرابع. راجع:
Bodnaruk, Production of distinction, pp. 270- 293.

(٥) Paulinus of Milan, the Life of St. Ambrose, Ed. Ramsey, p. 208.

(٦) Jones, The Later Roman empire, vol. 1, pp. 168- 169;
أيضًا انظر. عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ٤/ ١٦٠.

سياسيًا ليضغط على "أمبروز"، ولذلك تُؤكد سالزمان أن هذا التهديد كان بعيدًا كل البعد عن التأثر بالنزعة الدينية(١).

وأمبروز بدوره كان مثالًا للشخصية المحورية النفعية، لا يتورع عن سلوك أي طريق يُمكنه من مُغالبة خصومه؛ ليسمو بنفسه فوق المجتمع والدولة(٢). وقد أراد لروما أن تلبس حُلَّةً مسيحية لتكون قسطنطينية أخرى(٣)، ولذلك رحَّبَ بجهود البابا داماسوس الأول (٣٦٦- ٣٨٤م) لبناء دور عبادة مسيحية بين الأبنية القديمة لروما(٤). ولم يُوقف جُرأته عند حدٍ، فأشهر سيف الحرمان الكنسي على الجميع، وعلى الإمبراطور نفسه. كما أنه أشهر قلمه في وجه الوثنيين من أعضاء السناتو وأبناء الطبقة الأرستقراطية، وتصدى لمُناشدات سيماخوس المرفوعة في الفترة بين سنتي ٣٨٤ و٣٩٢م إلى الإمبراطورين ثيودوسيوس وفالنتنيان الثاني، والتي يتضح منها أن مكمن سخط أعضاء مجلس الشيوخ إنما كان بالأساس اقتصاديًا؛ إذ أن إلغاء النفقات التي كانت مُخصصة لمعابد روما أثَّرَ على مواردهم المالية(٥). لكن أمبروز شرح كيف أن المسيحيين هم أكثر فقرًا من الوثنيين المُتخمين بالغنى الفاحش(٦). وعلى ذلك يتضح أنه أضاف إلى الصبغة الدينية في الصراع جانبًا اقتصاديًا.

ونرى العامل الاقتصادي ما زال يُخيم بقوة على الأحداث، فيؤكد زوسيموس أن شكاوى وثنيي مجلس الشيوخ انصبّت على النواحي المالية(٧). وأنهم ظلوا يُكافحون لتخفيف غلواء قوانين ثيودوسيوس، التي لم تحرمهم من مواردهم وحسب، بل وفرضت عليهم غرامات مالية إذا مارسوا

---

(١) Salzman, Ambrose and the Usurpation of Arbogastes and Eugenius, p. 202.

(٢) Greetz, Local knowledge, p. 124; Brown, Aspects of Christianisation, p. 133.

(٣) Kelly, Ruling the later roman empire, pp. 187- 188 Ff.

(٤) Curran, Pagan city and Christian capital, pp. 145- 147.

(٥) Paschoud, Réflexions sur l'idéal religieux de Symmaque, pp. 218- 219.

كان سيماخوس يستشهد بما صنعه قسطنطيوس الثاني عندما زار روما سنة ٣٥٧م؛ فأمر بإزالة مذبح النصر من بهو السناتو، لكنه أبقى للشيوخ امتيازاتهم المالية، وأغدق من فيضه على المعابد، وحفظ لها إعفاءاتها المالية. انظر: Symmachus, Relatio 3 وقد أكد إميانوس ماركلينوس على الامتيازات والمنح التي بذلها قسطنطيوس لروما، فضلًا عن تجديده بعض معابدها، غير أنه لم يذكر أن الإمبراطور أمر بإخراج مذبح النصر. انظر:

Ammianus Marcellinus, History, vol. 1, Book 16, pp. 249, 251, 253.

(٦) See: Some of the principal works of St. Ambrose: letter, No. 18. 13- 16; 16;

راجع أيضًا الترجمة العربية في: عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ٤/ ١٤٩- ١٥٢.

(٧) See: Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 59. 2- 3.

طقوسهم الوثنية[١]. من ذلك تشجّع ألان كاميرون Cameron على القول إن القوانين التي أصدرها ثيودوسيوس حتى سنة ٣٩٠م لم تُمثل إزعاجًا لـــــــــ وثنيي مجلس الشيوخ ولا أرستقراطي روما، لأنها لم تقترب من عوائدهم المالية، رُغم أنها ضيقت عليهم دينيًا[٢]. ومع أن ميشيل سالزمان اعتبرت كاميرون مُغاليًا في رأيه السابق[٣]، غير أنه لا يخلو من وجاهة. فقد أنهى ثيودوسيوس في ٢٤ فبراير سنة ٣٩١م سياسة التسامح التي اتبعها مع الوثنيين، وأصدر مرسومًا يقضي بعدم زيارة الأضرحة والمعابد، ويحظر نهائيًا تقديم الأضحيات والنذور أمامها. وقد أكَّد جميع ذلك في مرسوم لاحق أصدره في صيف العام نفسه[٤]. وفي ٨ نوفمبر ٣٩٢م أصدر قانونًا يقضي بتغريم من يخالف المراسيم السابقة بـــــــ عشرين جنيهًا ذهبيًا. وفرض عقوبة على القُضاة الذين لا يحرصون على تنفيذ القوانين بأن يدفع واحدهم ثلاثين جنيهًا، ويُغرّم مُعاونوهم بالمثل[٥]. وكان قد جعل غرامة المُخالفين من موظفي البلاط خمسة عشر جنيهًا، والقناصل ستة، والمُدققين وموظفي الإدارات أربعة جنيهات[٦].

وبعد قضائه على إيوجينيوس سنة ٣٩٤م واصل ثيودوسيوس إجراءاته التنصيرية الصارمة، ما ترك أثرا سلبيًا على مُثقفي روما ونبلائها. وقد فَطِنَ زوسيموس إلى هذا، وأورد قطعة فريدة في كتابه يضع فيها تصوره ونقده لسياسة ثيودوسيوس. ونظرًا لأهمية هذه الرواية آثر الباحث أن يُسجّلها كاملة، يقول زوسيموس: "إن ثيودوسيوس بعد انتصاره – في فريجيدوس ٦ سبتمبر ٣٩٤م– قصد إلى روما[٧]. وطلب انعقاد مجلس الشيوخ الذي كان أعضاؤه مُتمسكون بالطقوس والعبادات القديمة،

---

(١) CTh. Ann. 391 (16. 10. 10- 11), ann. 392 (16. 10. 12).
حاول سيماخوس بما أوتي من حلاوة اللسان وقوة المنطق أن يوضح في كتاباته كيف أن بقاء الأرستقراطيين الوثنيين يحفظ التقاليد القديمة والعراقة الرومانية. راجع:
Symmachus, Epistolae, Lib. 1, No. 52; Voir: Paschoud, Réflexions, pp. 220- 221.

(٢) Cameron, Paganism and Literature, pp. 29- 30.

(٣) Salzman, Ambrose and the usurpation of Arbogastes and Eugenius, p. 199. 199.

(٤) CTh. 16. 10. 11, p. 473; also: Jones, Pagan and Christian, p. 72.

(٥) CTh. 16. 10. 12; pp. 473- 474; see also: Jones, The Later empire, vol. 1, p. 168.

(٦) CTh. Ann. 391 (16. 10. 10- 11); Curran, Pagan city and Christian capital, p. 216. 216.

(٧) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 59. 1; Prudentius, vol. 1, pp. 383- 391;

أنكر نفرٌ من الباحثين أن ثيودوسيوس زار روما عقب معركة فريجيدوس سنة ٣٩٤م، وذكروا أن برودنتيوس وزوسيموس توهما ذلك. انظر التفاصيل في:

ولم يميلوا مع من مال إلى ازدراء المعبودات. وفي خطابه أمام الأعضاء حثَّهم ثيودوسيوس على التخلي عن آثامهم– كما وصفها– واعتناق المسيحية، مؤكدًا أنها شفاءٍ للصدور من الذنوب والخطايا. ولم يقبل أعضاء المجلس قوله، وأعلنوا أنهم لن يهجروا طقوسهم القديمة قِدَم مدينتهم الخالدة، مؤكدين أنهم مارسوا هذه الطقوس قرابة اثنتي عشر قرنًا من الزمان، لم يَدْهَم روما خلالها خطر أو يغزوها غاز. حينئذٍ أخبرهم ثيودوسيوس أن الخزانة الإمبراطورية لم تعد تتحمل الأعباء المالية التي تُنفَق على إقامة هذه الشعائر، ولذلك سوف يُلغيها بمُقتضى السلطات المُخولة له، مُنوهًا إلى أن الجيش بحاجة إلى هذه النفقات"(١). وقد ساءت هذه الواقعة زوسيموس الذي ربط – في شيء من المبالغة– بين الحفاظ على الموروث النابع من العبادات الوثنية وبين قوة الدولة وتواصل مجدها وازدهارها(٢).

ويُلاحظ أن زوسيموس في روايته لم يأتِ بذكرٍ عن المسيحيين من أعضاء السناتو، بما يشي أن أعضاء المجلس في هذه الأثناء كانوا وثنيين أو جُلهم. على أن هذا الاستنتاج يصطدم برواية "أمبروز" الذي يُؤكَّدَ أن الأغلبية في السناتو كانت للمسيحيين(٣). وأيَّده في ذلك الشاعر برودنتيوس(٤)، مضيفًا أن وثني روما قبلوا عن طيب خاطر دعوة ثيودوسيوس لاعتناق المسيحية(٥). هذا الطرف الأخير تؤيده رواية أوغسطين من أن ثيودوسيوس غداة فوزه بالنصر كان الأمل يحدوه في أن يتنصر بقية

Barnes, Timothy. & Westall, Richard. the Conversion of the roman aristocracy in Prudentius "Contra Symmachum", *Phoenix*, Vol. 45, No. 1, 1991, pp. 50- 61; Salzman, the Making of Christian aristocracy, pp. 1- 2;

كما أسقطت ميجان مكفوي هذه الزيارة من سجل زيارات الأباطرة الشرقيين لروما. انظر:

McEvoy, Meaghan. Rome and the transformation of the imperial office in the late fourth- mid-fifth cent., *Papers of the British School at Rome*, 78 (2010), p. 152;

ولكن وردت إشارة عند ثيودوريت تؤكد وقوع الزيارة. راجع:

Theodoret, the Ecclesiastical History, 5. 23؛

وقد أيد كاميرون وباشو وكايجي ووليام/ فريل رواية زوسيموس وأكدوا أن الزيارة وقعت في خريف سنة ٣٩٤م، وحددها كاميرون بالثاني من أكتوبر. انظر:

Cameron, Theodosius the Great and the regency of Stilico, pp. 253- 266; Paschaud, Cinq études sur Zosime, pp. 102- 108 Ff; voir: Zosime, Histoire Nouvelle, tom. 2, liv. 4, note. 213, pp. 470- 473; Kaegi, Byzantium and the decline of Rome, p. 125; William & Friell, Theodosius: The empire at pay, pp. 119- 120.

(١) Zosime, Histoire Nouvelle, 4. 59. 1- 2; 5. 38. 2.

(٢) Ibid, 4. 59. 3- 4.

(٣) Ambrose, Letters, No. 17. 9.

(٤) Prudentius, 1, "reply to Symmachus", p. 397;

يذكر الباحث ستيفن فيراندي أن برودنتيوس نفسه كان يرغب في تحويل الأرستقراطيين إلى المسيحية، وهذا يُفسر إلحاحه على أغلبية المسيحيين في السناتو: Etienne, la Lutte contre le Paganism, pp. 88 Ff

(٥) Prudentius, 1, "reply to Symmachus", pp. 389, 391.

وثنيي روما[١]. ويمكن تفهم الروايات المسيحية في ضوء إصرار أصحابها على ممارسة الدعاية للدين الجديد بكل السبل. على أن جريندل Grindle[٢] ودوشسن Duchesne[٣] وجرينسلاد Greensalde[٤] وشيريدان Sheridan[٥] يرون أن أغلبية أعضاء السناتو كانت للوثنيين، أو على الأقل في الجلسات التي حضرها ثيودوسيوس. ورجَّح جونز الأمر نفسه[٦]، وكذلك وليام/ فريل[٧]. ثم ثم حسمت سالزمان القضية بقولها: "أنه لم يكن هناك إقبالًا ملحوظًا من مثقفي روما ونبلائها وأعضاء مجلس شيوخها على اعتناق المسيحية حتى نهاية القرن الرابع الميلادي". واستشهدت بإصرار ثيودوسيوس على تنصير النُخبة – أعضاء السناتو– بوصفه مثالًا على بقاء الوثنيين قوةً مؤثرةً في المجتمع الروماني، وعليه رجَّحت بدورها تغلب الوثنيين على المجلس[٨]. وعلى أية حال ليس هناك عجبًا في أن يتغلب الوثنيون على السناتو في وقت لم يتجاوز المسيحيون عُشر سكان الإمبراطورية[٩]، ولذلك استغلوا دعم الأباطرة في التعجيل بإجراءات الطلاق بين الإمبراطورية والوثنية.

والمعروف أن مجلس الشيوخ كان يشغله ألفا عضو بعد منتصف القرن الرابع الميلادي[١٠]. وبما أن الأغلبية كانت للوثنيين كما تقدَّم فعددهم إذن يتجاوز الألف على أقل تقدير. وقد تضرر هؤلاء من

---

(١) أوغسطين، مدينة الله، ج١، ٢٦/ ٢٧٠– ٢٧١، وعلى أية حال كانت دعاية أوغسطين على وجه العموم تعكس رغبته هو في أن يُقبلُ الوثنيون على المسيحية. انظر التفاصيل:

Ando, Clifford. Pagan apologetics and Christian intolerance in the ages of Themistius and Augustine, *Journal of Early Christian studies*, 4: 2, 1996, pp. 187- 198.

(٢) Grindle, The Destruction of paganism, p. 28.

(٣) Duchesne, Histoire ancienne de l`église, vol. 2, p. 635.

(٤) Greensalde, Stanly. The Altar of Victory, in " early Latin theology: selections from Tertullian, Cyprian, Ambrose and Jerome, ed. S. Greenslade, 1st ed. Louisville: the Westminster press, U. K, 1956, p. 190.

(٥) Sheridan, The Altar of Victory- paganism`s last battle, pp. 188- 193.

(٦) Jones, The Later Roman empire, vol. 1, p. 332.، أيضًا: الدولة والكنيسة، ٤/ ١٤٣، ١٥٥.

(٧) William & Friell, Theodosius: The empire at pay, p. 49.

(٨) Salzman, Michele. The Making of a Christian aristocracy: Social and religious change in the western roman empire, 1st ed. Harvard university press, U. S. A, 2002, pp. 65- 67, 183.

(٩) عبد الحميد، رأفت. بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط١، دار عين، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٥.

(١٠) the Private orations of Themistius, in " Transformation of the Classical Heritage, vol. 29", 1st ed. R. J. Penella, University of California press, Ltd., 1999, Oration: 34. 13; also: Haldon, John. The Fate of the late Roman senatorial elite: = = Extinctionor transformation, in " the Byzantine and early Islamic near east", Ed. J. Haldon & L. Conrad, 1st ed. The Darwin Press: Princeton & New Jersey, 2004, p. 186.

جرّاء مراسيم ثيودوسيوس التي حظرت عليهم ممارسة الطقوس الوثنية، وحرمتهم الامتيازات المالية التي كانوا يُحصلونها من وراء الكهانة ووظائف المعابد القديمة. ليس هذا وحسب بل لحق بهم الضرر من إجراءات وظيفية ومالية أخرى تزامنت مع سياسة التنصير. فالدولة كانت قد وفَّرت قرب نهاية القرن الرابع حوالي ثلاث آلاف وظيفة ليشغلها المُتقاعدون من عضوية مجلس الشيوخ(١). وكانت تثق بصفة عامة في هؤلاء وأبناء طبقة النبلاء لإدارة الخدمات المدنية، وفي الفصل قانونيًا في المنازعات، خاصة مع عدم إقامة أباطرة الغرب في روما(٢). ولكن مع السياسة التنصيرية صار واضحًا أن السُلطات الحاكمة باتت تُفضّل أن يشغل هذه الوظائف مسيحيين(٣)؛ فغدا هؤلاء يُشرفون على البريد ووسائل النقل وجباية الضرائب، فضلًا عن الأعمال الخدمية، وصاروا وسطاء بين سكان المُدُن والسلطات المحلية والمجالس الإمبراطورية(٤)، وأُوكِل إليهم النظر في المُنازعات التي تتعلق بالمسيحيين(٥).

وكان أيضًا من تبعات حركة التنصير ظهور ما يُعرف بـــــــ "حركة الزُهد". وهي أن بعض الأغنياء ممن اعتنق المسيحية وبتأثير كتابات آباء الكنيسة قرروا أن يهجروا روما، وأن يسلكوا مجاهل بعيدة عن العمران مُتخذين سمت النُساك الزُهاد. ويذكر كوران Curran أن هذه الحركة شكَّلت خطرًا جديدًا على طبقة النبلاء الوثنيين في روما، لأن أولاء الذين دخلوا المسيحية نزلوا عن أملاكهم للمؤسسات الكنسية، الأمر الذي أفضى إلى تفتيت ملكياتهم وتمزيق روابطهم الأسرية(٦). وفي وفي المُقابل كان الناس – تزامنًا مع مسيحة الأبنية وتواصل الدعاية الكنسية– يُقبلون على روما من مختلف الطبقات لزيارة الكنيسة والمؤسسات الدينية، ما أدَّى أحيانًا إلى نفاذ مؤونة الخبز المخصصة للمدينة قبل حلول موعد الحصة التالية. وثمة إشارة في مطلع القرن الخامس تفيد أن روما دخلها في يوم واحد خمسة عشر ألف زائر(٧).

---

(١) Salzman, The Making of a Christian aristocracy, p. 39.

(٢) McEvoy, Rome and the transformation, p. 171; Clemente, Guido. The Roman senate and the politics of religion in the Colletio Avellana (IV- VI centuries A D), *Scripto Classica*, 36, 2017, p. 126.

(٣) Haldon, The Fate of the late Roman senatorial elite, p. 186.

(٤) Gamache, Éloge et Critique de l` empereur, pp. 30- 31.

(٥) Harris, Jill. Law and Empire, 1st ed. Cambridge university press, 2004, pp. 117 Ff; Ff; Clemente, The Roman senate and the politics of religion, p. 130.

(٦) Curran, Pagan city, pp. 261 Ff; also: Mitchell, Religious world, p. 142.

(٧) Salzman, Michele. From a Classical to a Christian City: Civic Euergetism and Charity in Late Antique Rome, *Studies in Late Antiquity*, 2017, V. 1, n. 1, p. 69.

أمام هذه الموجة الكاسحة من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وجد أعضاء السناتو والأرستقراطيون الوثنيون أنفسهم سوف يخسرون مُقدّراتهم الاقتصادية(١)، وقد حاولوا الصمود لهذا كله من خلال محاورٍ ثلاثة:

١- المال الذي استخدموه في تشييد المباني الخدمية، وفي دعم الوظائف العامة والخدمات الاجتماعية، وفي الإنفاق على إقامة الملاعب والعروض الترفيهية.

٢- الملكيات الزراعية التي أفادوا من تأجيرها أو بيع منتوجاتها، وكان العائد عليهم منها وفيرًا. فقد امتلك سيماخوس مثلًا ما يربو على ثلاث عشرة ملكية في إيطاليا وخارجها، وقد بلغ ما يصله من دخلها سنويًا قرابة أربعة آلاف جنيهًا ذهبيًا(٢).

٣- الدعم الثقافي حيث أن الأرستقراطيين في روما كانوا رُعاةً للتعليم والأدب والفن، ولم يدّخروا جُهدًا ولا مالًا في سبيل ذلك(٣).

زيادة على ما سبق حاول الأرستقراطيون حفظ ممتلكاتهم من خلال دعم السلطات المحلية وحمايتها لهم، وقد كانوا يتلقون منها التشريفات والألقاب جزاء ما يُقدّموه من خدمات اجتماعية، كما أن هذه السُلطات تغافلت عن هفواتهم وضربت صفحًا عن تجاوزاتهم. ففي حالات كثيرة سعى الأرستقراطيون إلى التربح بطرق ملتوية مثل أن يتحكموا في الأسواق والسلع لبيع منتوجاتهم، كما أنهم تهربوا من دفع الضرائب على بضائعهم المُباعة، والسلطات المحلية تعلم ذلك وتغض الطرف(٤). الطرف(٤). على أن النُبلاء كانوا لا يضمنون ديمومة هذا التوافق، فحرصوا هم أنفسهم على تقلد الوظائف المحلية(٥)، فضلًا عن تحكمهم في أغلبية عضوية مجلس الشيوخ كما تقدّم ذكره. وعليه

---

(١) Paschoud, Réflexions sur l'idéal religieux de Symmaque, p. 222;
كان الدخل العادي لعضو مجلس الشيوخ حوالي مئة وعشرين ألف صوليدي، في حين أن الدخل الأعلى للموظف الحكومي كان لا يتجاوز ألفًا، والفلاح العادي يصل دخله إلى خمسة قطع فقط. انظر:
William & Friell, Theodosius: The empire at pay, p. 81.

(٢) ومن الطريف أن أمبروز نفسه أشار إلى أن أخيه "ساتيروس" حاز أملاكًا واسعة في إيطاليا وخارجهـــا، حتى أن قصد إلى شمال أفريقيا ذات مرة ليشرف بنفسه على جمع عوائد أملاكه. انظر:
Ambrose, On the Decease of Satyrus, "Some of the principal works", 26, p. 165.

(٣) Salzman, The Making of a Christian aristocracy, pp. 24- 27.

(٤) William & Friell, Theodosius: The empire at pay, p. 81.

(٥) Ziche, Hartmut. Integrating late Roman cities, countryside, and trade, in: *Ancient Ancient economies, modern methodologies*, 2006, p. 260.

أمكنهم حماية ملكياتهم والتوسع في شراء أخرى بأسعارٍ زهيدة، وبذلوا في سبيل ذلك الرُشى والهدايا للسلطات الحاكمة(١).

من ذلك نلتمس العذر لـــــــــــ "فلافيانوس" حين أيَّد إيوجينيوس؛ فعينه حاكمًا بريتوريًا في نهاية سنة ٣٩٣م، ثم قُنصلًا في مطلع عام ٣٩٤م، وعين ولده نيكوماخوس فلافيانوس الأصغر حاكمًا على إيطاليا في العام نفسه(٢)، وقبل ذلك كان يفقد مراتبه الوظيفية تدريجيًا على يد ثيودوسيوس. وعندما طمع في أن ينال ولده ترقية وظيفية في إيطاليا، لم يلتفت إليه الإمبراطور. وعليه يتضح أن فلافيانوس انضم إلى إيوجينيوس حرصًا منه على نيل الوظائف المرموقة له ولعائلته بما يضمن لهم جميعًا النفوذ والسلطة، وحفظ أملاكهم ومكانتهم في المجتمع الروماني.

ومن ذلك أيضًا ارتقى فابيوس مميوس إلى وظيفة الكويستورية سنة ٣٩٣م رُغم أن والده سيماخوس لم يُصرّح بتأييد إيوجينيوس(٣). ذلك أنه كان يخشى من تكرار ما حدث معه حين ناصَرَ مكسيموس سنة ٣٨٧م، وحاق به غضب ثيودوسيوس، قبل أن يتذلَّلَ له وينال عفوه سنة ٣٨٩م(٤). ولذلك وعي الدرس وتعامل بحذرٍ مع الغاصب الجديد، رُغم أن صهره فلافيانوس كان من أنصاره، لكن سيماخوس التزم الصمت فلم يُعلن تأييده لإيوجينيوس ولم يُعارضه(٥). وقد تصدى جون مكجيتشي مكجيتشي Mcgeachy وبريان كروك Croke للروايات التي تقول بوجود صداقة بينهما، ففنَّداها

---

(١) Arnheim, Michael. the Senatorial aristocracy in the later roman empire, Clarendon press: Oxford, 1972, pp. 153 Ff; Salzman, The Making of a Christian, pp. 27- 29.

(٢) Bloch, A new document, pp. 228- 229; O'Donnell, the Career, pp. 129- 136.

(٣) جاء تعيين ابن سيماخوس في وظيفة الكويستور بدَّالة فلافيانوس على إيوجينيوس، ثم عند إقامة الاحتفال أرسل الأخير منحة مالية كبيرة لـــــــــــ "سيماخوس"، فبعث هذا ممتنًا بخطابٍ شكر إليه. وكان حذرًا من أن يذكر صراحة اسم إيوجينيوس. انظر: Symmachus, Epistolae, Lib. 2. 81; lib. 5. 49.

ووظيفة الـ Quaestor تعني مستشار الإمبراطور، ويلتحق صاحبها عضوًا بالمجلس الإمبراطوري *Cosistorum*، وهي على أية حال وظيفة شرفية، لكنها اقتصرت في القرن الرابع على الطبقة= =الأرستقراطية، وتطورت في القرن السادس حتى صارت مرادفة لشخص يحمل الأختام الملكية. انظر: بروكوبيوس، التاريخ السري، ص ١٢٥؛ أيضًا: فرج، بيزنطة: قراءة في التاريخ السياسي والإداري، ص ٤٢، وللمزيد:

Bodnaruk, Production of distinction: the representation of senatorial, pp. 377- 385.

(٤) Symmachus, Epistolae, Lib. 2, No. 13, 32.

(٥) Humphries, Mark. Roman senators and absent emperors, published in "National university of Ireland", 2017, p. 24.

وأنكراها[١]. وأكَّدَ جون ماثيوز Matthews أن سيماخوس لم يكن له دورًا في الأحداث السياسية التي شغلت الفترة (٣٩٢- ٣٩٤م)[٢].

وبالنظر إلى خطابات سيماخوس – وهو مثال للطبقة الأرستقراطية الوثنية- لا يُمكن اتهامه بالتعصب الديني. وبإحصاء عدد الذين راسلهم نجدهم مئة وأربعة وثلاثين فردًا، منهم أربعة وخمسون وثنيًا أو يبدون كذلك، وثلاثة وثلاثون مسيحيًا أو يبدون كذلك، والسبعة وأربعون الباقون منهم أربعة وثلاثون لا يُعتَّدُ بهم، لأن واحدهم تلقى خطابًا، بما لا يُمكن الحكم عليه بصفة موضوعية، والثلاثة عشر المتبقون كانوا شخصيات غير معروفة. وأجمالي الخطابات التي ذُكِرت أسماء أصحابها سبعمئة وستة وسبعون، منها أربعمئة وثلاثة وأربعون لأشخاصٍ يُرَجَّحُ أنهم وثنيين، ومئتان وتسعة وخمسون لأشخاصٍ يُعتقد أنهم مسيحيين، مع الإقرار أن جُّل الخطابات التي تلقى سيماخوس ردودًا عليها كانت تدور حول موضوعات عامة[٣].

ويُعدُّ سيماخوس ببساطة مثالًا للوثني المُثقف المستنير الذي يرى في قديم الإمبراطورية سبيلًا للتعايش السلمي. وعليه لم تكن نظرته وحدوية كما هي عند أصحاب المصادر المسيحية، فنجده مثلًا يُرشّح "أوغسطين" – القديس المعروف- للعمل في بلاط المجلس الاستشاري الإمبراطوري *Consistorium* في ميلان[٤]، وتبنى ذات مرَّة قضية أحد الأساقفة، ولمَّا لامه أخوه على ذلك، ردَّ عليه بقوله:" إنه انشغل بقضية الأسقف بوصفه إنسانًا ولم ينظر إلى عقيدته ولا إلى طائفته"[٥]. كما أن أن سيماخوس كان على صداقة مع أمبروز[٦]. ولم تنقطع صداقتهما بعد أحداث فريجيدوس سنة

(١) اتّهَمَ العلامة الألماني سيك Seeck فابيوس مميوس- مُحرر خطابات سيماخوس- أنه حذف بعض خطابات والده التي قد تُعرضه للإدانة، منها خطابات تُثبت صداقته بـــ إيوجينيوس وأربوجاست= =انظر: Symmachus, Epistolae, the introduction؛ لكن مكجيتشي وبريان أنكرا وجود هذه الخطابات.

Mcgeachy, the Editing of the letters of Symmachus, pp. 222-229; Croke, The Editing of Symmachus` letters to Eugenius and Arbogast, pp. 533- 549.

(٢) Matthew, John. The Historical setting of the 'Carmen contra Paganos, *Historia*, Bd. 19, H. 4 (Nov., 1970), p. 466; *Idem*, Western aristocracies, pp. 242- 243.

(٣) Mcgeachy, the Editing of the letters of Symmachus, pp. 226- 228.

(٤) اعترافات القديس أوغسطين، ٥/ ٩٤.

(٥) Symmachus, Epistolae, Lib. 1, No. 64.

(٦) Gamache, Éloge et Critique de l` empereur, p. 33; = 64. 33;

٣٩٤م، فنجده يبعث برسالة إلى أمبروز حوالي ٣٩٥م يلتمس إليه أن يتشفع عند الإمبراطور ثيودوسيوس – بما له من دَّالة عليه– ليعفو عن النبيل ماركيانوس Marcianus الذي انضم إلى حركة إيوجينيوس، وبات مُهددًا في حياته وأملاكه(١). وعليه نرى في سيماخوس مثالًا للوثني الذي ينفي اتهام المغالاة للوثنية خلال أحداث صعود إيوجينيوس.

وعلى أية حال بدا وثنيو الطبقة الأرستقراطية عاجزين عن مُجاراة الدعاية الكنسية التي راحت تجذب النبلاء أنفسهم لتقلد الوظائف الكنسية، وتوفر لهم الدعم المالي والإعفاءات الضريبية على منتوجات أملاكهم(٢). في الوقت نفسه فرضت الدولة الضرائب على أملاك الوثنيين(٣)، ولذلك لم تكد تغيب شمس القرن الرابع حتى برز للمجتمع أرستقراطيون أساقفة(٤). ويُعلّقُ هارتموت زيش Ziche أن هؤلاء مثَّلوا أرستقراطية وظيفية جديدة باتت تنافس النُخبة الوثنية، ولكن لا يستندون على ظهير اجتماعي وإنما على الدين بوصفهم مسيحيين(٥).

وأخيرًا يُمكن القول إن وثوب إيوجينيوس على العرش الغربي لم يكن لغرضٍ ديني بقدر ما كان صرخة أخيرة أطلقتها روما في وجه القسطنطينية. وبقدر ما كان تعبيرًا عن قلق النبلاء وأعضاء مجلس الشيوخ الوثنيين من تصاعد وتيرة التنصير في أرجاء الإمبراطورية. وبقدر ما كان محاولة منهم لتحسين أحوال الغرب سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا.

=كان سيماخوس أيضًا صديقًا للشاعر أوزونيوس (٣١٠– ٣٩٥م)، وكثيرًا ما تلقّى منه المديح حيث شـبَّهه بشيشرون وفرجيل وديموستين وسقراط، Ibid, pp. 33, 63، وهذا شجّع مكروبيوس فيما بعد على أن يجعل سيماخوس تلميذًا لأفكار شيشرون وفرجيل. انظر: Saturnalia, 2. 4; 5. 1- 7.

(١) Symmachus, Epistolae, Lib. 3, No. 33.

(٢) See details: Salzman, Michele. Symmachus ideal of secular friendship, in " Les frontières du profane dans l'Antiquité tardive. Rome, Ed. E. Rebillard et C. Sotinel, École française de Rome, 2010, pp. 247- 272; Gamache, Éloge, p. 29.

(٣) William & Friell, Theodosius: The empire at pay, p. 82.

(٤) For more details: Salzman, The Making of a Christian aristocracy, pp. 200- 203.

(٥) Ziche, Integrating late Roman cities, p. 267; also; Stouriatis, civil war, p. 110.

نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

١- قدَّم زوسيموس تحليلًا ناقدًا وموضوعيًا لحركة إيوجينيوس، وعرض لعلاقتها بسياسة ثيودوسيوس وطريقة حكمه وإدارته للإمبراطورية.

٢- انفرد زوسيموس برواية زيارة ثيودوسيوس لمجلس الشيوخ في روما في سنة ٣٩٤م، وهذا لم يذكره غيره من المصادر.

٣- لم تكن وثبة إيوجينيوس في مواجهة القسطنطينية لسببٍ ديني، وإنما جاءت بالمقام الأول لأسباب اقتصادية وسياسية وعسكرية، وهكذا كان ينظر إليها ثيودوسيوس.

٤- كان للدعاية الكنسية – ومديرها "أمبروز"- النصيب الأكبر في تشويه صور أبطال حركة إيوجينيوس، وتقديم الحركة في ثوبٍ ديني.

٥- لم تكن المصادر المسيحية كلها مؤيدة لوجهة نظر أمبروز وروفينوس في الدعاية المضادة، بل جاءت رواياتها موضوعية، مثل يوحنا الأنطاكي وفلستورجيوس وإلى حدٍ ما سقراط.

٦- اعتمد معظم الدارسين على خطابات القديس أمبروز قطب المسيحية الغربية في هذه الفترة، وأيضًا على خطابات سيماخوس الزعيم الوثني. وصوروا العلاقة بينهما على أنها صراع ديني، وهذ لم يكن صائبًا لأن العلاقة بينهما والتغيرات التي لمستها إنما كانت نتاج حقبة زمنية لها ما يُميزها سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا ودينيًا.

٧- اقتطع بعض الدارسين قضية وثبة إيوجينيوس من الأحداث العامة التي شغلت الإمبراطورية في القرن الرابع. وهذا أيضًا لم يكن صحيحًا، لأنها جاءت ردة فعل سياسية وعسكرية واقتصادية ودينية لـــــــ "روما" تجاه القسطنطينية.

٨- لم يكن لـــــــــ فلافيانوس وسيماخوس دورًا مؤثّرًا في أحداث حركة "إيوجينيوس" ولذلك لم يُشر إليهما زوسيموس.

٩- كانت أغلبية مجلس الشيوخ حتى سنة ٣٩٤م وثنية، وهذا يخالف ما ذهبت إليه الدعاية الكنسية.

١٠- لم تكن الإمبراطورية مسيحية بشكل تام في القرن الرابع كما حاولت المصادر المسيحية أن تُصور، ولكن الوثنية ظلت قائمة حتى القرن السادس الميلادي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المُعربة:

- أوغسطين، الاعترافات، ترجمة: القس يوحنا الحلو، ط٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١.
- أوغسطين، مدينة الله، ترجمة: القس يوحنا الحلو، ط٢، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٦.
- بروكوبيوس، التاريخ السري، ترجمة: صبري أبو الخير، ط١، دار عين، القاهرة، ٢٠٠١.
- ميخائيل السرياني، تاريخه الكبير، تعريب: المطران غريغوريوس صليبا شمعون، ط١، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦.
- هستوريا موناخوروم " التاريخ الرهباني لمصر في القرن الرابع"، ترجمة: القس بولا البراموسي.

ثانيًا: المصادر الأجنبية:

- St. Ambrose, bishop of Milan, the Letters, London, 1881, No. 60.
- St. Ambrose, Letters in "Some of the principal works of, trans. H. De Romestin, et. al., in " Select Library of Nicene and post- Nicene fathers of the Christian church, vol. 10, New York, 1896.
- Ambrose, On the Decease of Satyrus, in Ibid.
- Ambrose, Consolation on the death of Emperors Valentinian and Theodosius, in "Funeral orations" by: St. Gregory Nazianzen & St. Ambrose, "Fathers of the Church", vol. 22, trans. L. McCauley, et al. 1st ed. the catholic university of America press, 1953.
- Ambrose of Milan: Political letters and speeches, trans. J. Liebeschuetz, 1st ed. Liverpool university press, 2005.
- Ammianus Marcellinus, History, Trans. J. C. Rolfe, vol. 3, U. S. A. & U. K.

- Carmen adversus paganos, Trans. R. Pearse, 18 Mai 2018, *https://www.roger-pearse.com/weblog/2010/05/18/carmen-adversus-paganos.*

- Claudian, Panegyric on the Third and Fourth Consulship of the Emperor Honorius (A.D. 396, 398), published in the Loeb Class. Library, 1922.

- Corpus inscriptionurum et monumentorum religionis mithriacae, Ed. M. Vermaseren, Netherlands, 1956.

- Epitome De Caesaribus, Tr. Thomas M. Banchich, Buffalo, N. Y, 2009.

- Epistolae Imperatorum Pontificum Aliorum, in "Collectio Avellana", Ed. Otto Guenther, 1895.

- Evagrius, Ecclesiastical History, trans. M. Whitby, 1st ed. Liverpool university press, 2000.

- The Fragmentary Latin histories of late antiquity (AD 300- 620), Ed. trans. & commentary: L. Van Hoof & P. V. Nuffelen, 1st ed. Cambridge university press, 2020.

- Gregoire de Tours, Histoire de Francs, trad. R. latouche, 1iere ed. Société d`Edition "les Belles lettres", Paris, 1963.

- Gregory the Great, Letters, Ed. Ph. Schaff, Nicene and post- Nicene fathers, v. 12.

- Ioannis Antiocheni Fragmenta ex Historia Chronica, Ed. U. Roberto, 1st ed. Walter de Guyter: Berlin & New York, 2005.

- Jerome, Chronicle, *http://www.tertullian.org/fathers/jerome_chronicle.*

- John, Bishop of Nikiu: The Chronicle, trans. R. H. Charles, 1st ed. Williams & Norgate, London & Oxford, 1913.

- John Malalas, Chronicle, trans. E. Jeffrey et. al., 1st ed. Malbourne, 1986.

- Libanius: Selected orations, vol. 2, in " Loeb Classical Library", No. 452, trans. A. F. Norman, 1st ed. Harvard university press, 1977.

- Marcellinus, the Chronicle, trans. B. Croke, 1st ed. Univ. of Sydney, 1995.

- Macrobius, The Saturnalia, Ed. Ludwig von Jan, Leipzig, 1852.

- Oeuvres de Salvien de Marseille, Paris & Lyon, 1833.

- Pacatus Drepanus, Panegyric to the Emperor Theodosius, 1st ed. Liverpool University press, U. K, 1987.
- Palladius of Aspuna, The Lausiac History, Trans. W. K. Lowther Clarke, 1st ed. Society for promoting Christian knowledge: London, 1918.
- Paulinus of Milan, the Life of St. Ambrose, in "Ambrose" Ed. & trans. B. Ramsey, 1st ed. Routledge: London & New York, 1997.
- St. Paulinus of Nola, the Letters, trans. P. G. Walsh, 1st ed. Newman press: New York, 1966.
- Paulus Orosius, the Seven books of history against the pagans, trans. R. J. Deferrari, the Catholic university of America press, INC., 1964.
- Philostorgius, Church history, trans. With introduction and Notes by: Ph. Amidon, 1st ed. Society of Biblical Literature, Atlanta: U. S. A, 2007.
- Philostratus and Eunapius: the lives of the Sophists, En. Trans. W. C. Wright, London & New York, 1922.
- Photius, Bibliotheca: trans. R. henry, *http://www.tertullian.org/fathers/photius.*
- Prudentius, A reply to the address of Symmachus, En. Trans. H. J. Thomson, 1st ed. London, 1949.
- Prosper's chronicle: A critical edition and translation of the edition of 445, ed. D. Brook`s, Master, University of Ottawa, Canada, 2014.
- The Roman Imperial coinage, Ed. H. Mattingly et al., London, 1951.
- Rufinus of Aquilia, the Church history: Books 10 and 11, trans. Ph. Amidon, 1st ed. Oxford university press, 1997.
- Socrates, Ecclesiastical history, in " A select library of Nicene and post-Nicene fathers of the Christian church", vol. 2, Op. cit.
- Sozomenus, Ecclesiastical history, in " A select library of Nicene and post-Nicene fathers of the Christian church", vol. 2, Ibid.
- Sulpitius Severus, Life of St. Martin, in" A Select library of Nicene and post- Nicene fathers of Christian church, vol. 11.
- Sulpitius Severus, the Sacred History, in" Ibid.

- Symmachus, Epistolae, Ed. Otto Seeck, 1883.
- Symmachus, Relationes A. D 384, in " Prefect and Emperor; trans. H. Barrow, 1st ed. Clarendon press: Oxford, 1973.
- Themistius, the Private orations, Transformation of the Classical Heritage, vol. 29", 1st ed. R. J. Penella, University of California press, Ltd., 1999.
- The Theodosian code and Novels and Sirmondian constitutions, trans. & commentary by: C. Pharr, 1st ed. Princeton university press, 1952.
- Theodoret of Cyrus, Ecclesiastical history, in " A select library of Nicene and post-Nicene fathers of the Christian church, vol. 3.
- Vegetius, Epitome of military science, trans. N. P. Milner, 2nd ed. Liverpool university press, 2001.
- Zonaras, Epitomae Historiarum, Ed. M. Pinderi, Bonnae, 1897.
- Zosime, Histoire Nouvelle, trad. François Paschaud, 1ière ed. Société d`Edition" les Belles Lettres": Paris, 1979.

ثالثًا: المراجع والدوريات العربية:

- رمضان، عبد العزيز. سياسة أباطرة أسرتي قنسطنطين وثيودوسيوس تجاه العروض العامة بين الموروث الروماني والأيديولوجية الكنسية، حولية المؤرخ المصري، جامعة القاهرة، يوليو، ٢٠١٥.
- عبد الحميد، رأفت. بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط١، دار عين، القاهرة، ١٩٩٧.
- عبد الحميد، رأفت. الفكر المصري في العصر المسيحي، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٩.
- عبد الحميد، رأفت. الدولة والكنيسة، أربعة أجزاء، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠.
- عبد الوهاب، ياسر مصطفى. البابا أثناسيوس في كتابات المؤرخ الآريوسي فيلوستورجيوس (٣٦٤- ٤٣٣م)، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، جامعة كفر الشيخ، عدد (١٢)، يونيو ٢٠١٦.
- فرج، وسام عبد العزيز. بيزنطة: قراءة في التاريخ السياسي والإداري، ط١، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٤.

رابعًا: المراجع والدوريات الأجنبية:

- Ando, Clifford. Pagan apologetics and Christian intolerance in the ages of Themistius and Augustine, *Journal of Early Christian studies*, 4: 2, 1996.

- Arnheim, Michael. the Senatorial aristocracy in the later roman empire, Clarendon press: Oxford, 1972.

- Baldwin, Barry. Olympiodorus of Thebes "*L` antiquité Classique*", t. 49, 1980.

- Barnes, Timothy. & Westall, Richard. the Conversion of the roman aristocracy in Prudentius "Contra Symmachum"**,** *Phoenix*, Vol. 45, No. 1, 1991.

- Bodnaruk, Mariana. Production of distinction: the representation of senatorial elites (306- 395 A D), Medieval studies PHD, Central European University, 2019.

- Bloch, Herbert. A new document of the last pagan: revival in the west 393-394, "*Harvard Studies in Classical Philology*", 38, No. 4, Oct. 1945.

- Bolgov, Nikolay. Themistius and his works in the context of cultural continuity, *Tractus Aevorum* 1 (2). (November 2014).

- Brown, Peter. Aspects of the Christianisation of the roman world: the tanner lectures on human values, delivered at Cambridge university (22- 24 Nov. 1993).

- Bury, John. History of the later roman empire, from death of Theodosius I to the death of Justinian (395- 565 A D), London, 1923.

- Cameron, Alan. The Date and Identity of Macrobius, *The Journal of Roman Studies*, Vol. 56, Parts 1 & 2 (1966).

- Cameron, Alan. Theodosius the Great and the regency of Stilico, pp. 247-280 "*Harvard Studies in Classical Philology*", vol. 73 (1969).

- Camron, Alan. Claudian: Poetry and propaganda of the court of Honorius, 1st ed. Oxford university press, 1970.

- Cameron, Alan. Paganism and Literature in late fourth century Rome, 1st ed. Fondation Hardt, Suisse, 1977.

- Cameron, Alan. The last pagans of Rome, 1st ed. Oxford university press, 2011.

- Cameron, Averil. Thought on the introduction to the conflict between paganism and Christianity in the fourth century, in " Pagans and Christians in the Roman Empire: The Breaking of a Dialogue (IV-VI Century A.D.)", Proceedings of the International Conference at the Monastery of Bose, Ed. P. Brown and R. Lizzi Testa, (October 2008).

- Cecconi, Giovanni. Alan Cameron`s Virius Nicomachus Flavianus, in " the Strange death of pagan Rome: Reflections on a historiographical controversy, Ed. R. Lizzi Testa, 1st ed. Berpols: Belgium, 2013.

- Chadwick, Henry. The Early Church, 1st ed. Penguin Books: Middlesex, England, 1967.

- Chenault, Robert. Rome without emperors: the revival of senatorial city in the fourth century, PHD: University of Michigan, 2008.

- Chuvin, Pierre. A Chronicle of the last pagans, trans. B. A. Archer, 1st ed. Harvard university press, 1990.

- Clemente, Guido. The Roman senate and the politics of religion in the Colletio Avellana (IV- VI centuries A D), *Scripto Classica*, 36, 2017.

- Creese, Maggi. Letter to the Emperor: Epistolarity and power relations from Cicro to Symmachus, PHD, University of St. Andrews, 2007.

- Cribiore, Raffae. Libanius the Sophist: Rhetoric, reality, and religion in the fourth century, 1st ed. Cornell university press: Ireland & London, 2013.

- Croke, Brian. Arbogast and the death of Valentinian II, *Historia*, Bd. 25, H. 2, 2nd Qtr., 1976.

- Croke, Brian. The Editing of Symmachus` letters to Eugenius and Arbogast, "*Latomus*", t. 35, fasc. 3 (Juill.- Sept. 1976).

- Curran, John. Pagan city and Christian capital: Rome in the fourth century, 1st ed. Clarendon press. Oxford, 2000.

- Dill, Samuel. Roman society in the last century of the western empire, London, 1920.

- Dawson, Christopher. Religion and Culture, 1st ed. London, 1948.

- Duchesne, Louis. Histoire ancienne de l`église, tom. 2, paris, 1922.

- Dudden, Homes. The life and times of St. Ambrose, 1st ed. Clarendon press, London, 1935.

- Duval, Yves-Marie. Les aurea fulmina des Alps julienne: le Rôle des statues divines dans les lieux strategiques, dans "Westillyricum und Nordostitalien", ed. R. Bratoz, 1996.

- Evenepoel, Willy. Ambrose vs Symmachus: Christians and pagans in AD 384 "*Ancient Society*", vol. 29 (1998- 1999).

- Ferrandi, Etienne. La Lutte contre le paganism dans l`oeuvre de Prudence, Master: Université Aix-Marseille, 2016/ 2017.

- Festy, Michel. Le début et la fin des "Annales" de Nicomaque Flavien, *Historia,* Bd. 46, H. 4 (4th Qtr., 1997).

- Gamache, Valerie. Éloge et Critique de l` empereur chez Ambroise de Milan et Symmaque: au confluent de deux conceptions idologiques du pouvoir impérial romain, Master, Université de Montréal, 2011.

- Gillett, Andrew. The date and circumstances of Olympiodorus "*traditio*", 1993.

- Goffart, Walter. Zosimus, The First Historian of Rome's Fall, *The American Historical Review,* Vol. 76, No. 2 (April, 1971).

- Greensalde, Stanly. The Altar of Victory, in " early Latin theology: selections from Tertullian, Cyprian, Ambrose and Jerome, ed. S. Greenslade, 1st ed. Louisville: the Westminster press, U. K, 1956.

- Greetz, Clifford. Local knowledge: Further Essays in interpretive anthropology, 1st ed. Basic Books, Inc. U. S. A, 1983.

- Grindle, Gilbert. The Destruction of Paganism in the Roman Empire from Constantine to Justinian, Oxford, 1920.

- Haldon, John. The Fate of the late Roman senatorial elite: Extinction or transformation, in " the Byzantine and early Islamic near east", Ed. J. Haldon & L. Conrad, 1st ed. The Darwin Press: Princeton & New Jersey, 2004.

- Harl, Kenneth. Sacrifice and Pagan Belief in Fifth- and Sixth-Century Byzantium, *Past & Present,* No. 128 (Aug., 1990).

- Harris, Jill. Law and Empire, 1st ed. Cambridge university press, 2004.

- Harris, William. Religion on the battlefield from the *Saxa Rubra* o the Frigidus, in *Vestigia*, Ed. V. Gasparini, Stuttgart, 2016.

- Hepplewhite, Mark. Theodosius and the limits of Empire, 1st ed. Routledge, London & New York, 2020.

- Hedrick, Charles. History and Silence. Purge and rehabilitation of memory in late antiquity, 1st ed. University of Texsas press, 2000.

- Heitland, William. Agricola: A study of agriculture and rustic life in the Greco- Roman world from the point of view of labour, 1st ed. Cambridge university press, 1925.

- Humphries, Mark. Roman senators and absent emperors, published in "National university of Ireland", 2017.

- Inglebert, Hervé. L` Historiographie au IV siècle entre païens et chrétiens: faux dialogue et vrai débat, " Pagans and Christians in the Roman Empire: The Breaking of a Dialogue (IV-VI Century A.D.)", Proceedings of the International Conference at the Monastery of Bose, Ed. P. Brown & R. Lizzi Testa, (October 2008).

- Jones, Arnold. The Later Roman empire 284- 602: A social economic and administrative survey, 1st ed. Basil Blackwell & Mott Ltd, U. K, 1964.

- Jones, Christopher. Between pagan and Christian, 1st ed. Harvard university press, 2014.

- Cudorge, Justine. La Destruction des sanctuaires païens par les chrétiens de Constantine a Justinien, Mémoire : Université de Rouen, 2015.

- Kaegi, Walter Emile Jr. Byzantium and the decline of Rome, 1st ed. Princeton university press, 1968.

- Kaster, Robert. Studies on Macrobius` Saturnalia, 1st ed. Oxford university press, 2010.

- Kelly, Christopher. Ruling the later roman empire, 1st ed. the Belknap press of Harvard university press, 2004.

- Liebeschuetz, John. Ambrose & John Chrysostom: clerics between desert and empire, 1st ed. Oxford university press, 2011.

- Leppin, Hartmut. Heretical historiography: Philostorgius, *Studia Parsistica*, vol. 34, 2001.

- Leppin, Hartmut. The Church Historians (1): Socrates, Sozomenus and Theodoretus, in " Greek & Roman Historiography in late antiquity fourth and sixth century A. D., ed. G. Marasco, 1st ed. Brill: Leiden & Boston, 2003.

- Lizzi, Rita. Ambrose`s contemporaries and the Christianisation of northern Italy, *The Journal of Roman Studies*, Vol. 80, 1990.

- Machado, Carlos. The Roman aristocracy and the imperial court, before and after the sack, in "the Sack of Rome 410 A D: The events, its context and its impact, ed. J. lipps, et al., (Palilia 28), 2013.

- Marasco, Gabriele. The Church Historians (2): Philostorgius and Gelasius of Cyzicus, in " Greek & Roman Historiography in late antiquity fourth and sixth century A. D., ed. G. Marasco, 1st ed. Brill: Leiden & Boston, 2003.

- Markus, Robert. The End of Ancient christianity, 1st ed. Cambridge university press, 1990.

- Matthew, John. The Historical setting of the 'Carmen contra Paganos, *Historia*, Bd. 19, H. 4 (Nov., 1970).

- Matthew, John. Western aristocracies and imperial court A. D. 364- 425, 1st ed. Clarendon press: Oxford, 1975.

- McCormick, Michael. Eternal victory: Triumphal rulership in late antiquity, Byzantium and the early medieval west, 1st ed. Cambridge university press, 1986.

- McEvoy, Meaghan. Rome and the transformation of the imperial office in the late fourth- mid-fifth cent., *Papers of the British School at Rome*, 78 (2010).

- Mcgeachy, John. the Editing of the letters of Symmachus, *Classical Philology*, vol. 44, No. 4 (Oct. 1949).

- Mclynn, Neil. Ambrose of Milan: church and court in Christian capital, 1st ed. University of California press, 1994.

- Mitchell, Jillian. The Religious world of Quintus Aurelius Symmachus, PHD degree: University of Wales Trinity Saint David, 2016.

- Mitchell, Stephen. A History of the later roman empire A D (284- 641), 1st ed. London: Blackwell publishing, 2007.

- Moore, Clifford. The Pagan reaction in the late fourth century, " *Transactions and proceedings of the American philological Association*", vol. 50, 1919.

- O'Donnell, James. the Career of Virius Nicomachus Flavianus, *Phoenix*, vol. 32, No. 2, 1978.

- Olszaniec, Szymon. The two prefects of 384: Symmachus and Praetextatus, in "Within the circle of ancient ideas and Virtues", Studies in Honour of Prof. Maria Dzielska, ed. K. Twardowska et al., Krakow, 2014.

- Paschoud, François. Réflexions sur l'idéal religieux de Symmaque, pp. 215 -235, "*Historia*", Bd. 14, H. 2, Apr. 1965.

- Paschaud, François. Cinq études sur Zosime, 1ière ed. Société d`Edition: "les Belles Lettres": Paris, 1975.

- Paschoud, Francois. Pour un mille six centième anniversaire: le Frigidus en ébullition, pp. 275- 280 "*Revue internationale d'histoire et d'archéologie (IVe-VIIIe S.)*, 1994.

- Pasztori-Kupan, Istvan. Theodoret of Cyrus: The Early church fathers, 1st ed. Routledge: London & New York, 2006.

- Prechlik, Ivan. Zosimus, Praetextatus, and Valentinian I. The Quellenforschung Note on Zosimus, Historia nova, IV,3,3, and the Possible Purpose of the Annales of Nicomachus Flavianus, *Listy filologické*, vol. 134, 2011.

- Rapp, Claudia. Hagiography and Monastic Literature between Greek East and Latin West in Late Antiquity, in "*Cristianita d`Occidente E cristianita d`Oriente (Secoli Vi- XI)*, 24- 30 April, 2003.

- Ross, Alan. Libanius the historian? Praise and the presentation of the past in Oration 59, "*Greek, Roman, and Byzantium Studies"*, vol. 56, 2016.

- Roueché, Charlotte. Theodosius II, the cities, and the date of Church history of Sozomen, *The Journal of Theological Studies*, Vol. 37, Issue 1, April, 1986.

- Sacks, Kenneth. The Meaning of Eunapius' History, *History and Theory*, Vol. 25, No. 1 (Feb., 1986).

- Salzman, Michele. The Making of a Christian aristocracy: Social and religious change in the western roman empire, 1st ed. Harvard university press, U. S. A, 2002.

- Salzman, Michele. Pagans and Christian, in" Early Christians Studies", Ed. S. Harvey & D. Hunter, Oxford university press, 2008.

- Salzman, Michele. Ambrose and the usurpation of Arbogastes and Eugenius: Reflctions on pagan-christian conflicts narratives, "*Journal of Early Christian Studies*", vol. 18, no. 2, 2010.

- Salzman, Michele. Symmachus ideal of secular friendship, in " Les frontières du profane dans l'Antiquité tardive. Rome, Ed. E. Rebillard et C. Sotinel, École française de Rome, 2010.

- Salzman, Michele. The End of Public sacrifice: Changing definitions of sacrifice in post- Constantinian Rome and Italy, in " Ancient Mediterranean sacrifice", Ed. J. Knust & Z. Várhelui, 1st ed. Oxford university press, 2011.

- Salzman, Michele. From a Classical to a Christian City: Civic Euergetism and Charity in Late Antique Rome, *Studies in Late Antiquity*, Vol. 1, No. 1, 2017.

- Sear, David. Roman coins and their values, 4th ed. Spink & Son Ltd: London, 1988.

- Sheridan, James. The Altar of Victory- paganism`s last battle, pp. 186- 206 "*L`Antiquité Classique*", tom. 35, fasc. 1, 1966.

- Sogno, Christiana. Q. Aurelius Symmachus: A Political Biography, 1st ed. The university of Michigan press, 2006.

- Sólym, Márk. The Epitome de Caesaribus and the thirty tyrants, Proceedings of International Conference on Classical Studies. Ed. János Nagyillés, et al. Budapest, 2015.

- Stouriatis, Yannis. Civil war in Christian Empire, in " A Companion to the Byzantine culture of war (300- 1204), Y. Stouriatis, 1st ed. Brill, 2018.

- Thelamon, Francoise. Une Oeuvre destinée a la communauté chrétinne d` Aquilée: l` Histoire ecclésiastique de Rufin, *Antichità Altoadriatiche* 32 (1982), I.

- Todd, Robert. Themistius, 1st ed. Cornell University Press, U. S. A, 2003.

- Tommasi, Chiara. Coping with Ancient Gods, Celebrating Christian Emperors, Proclaiming Roman Eternity: Rhetoric and Religion in late antique Latin panegyrics, *Helsinki Collegium for Advanced Studies*, No. 20, 2016.

- Treadgold, Warren. Byzantium, the reluctant warrior, in " Noble Ideals and Bloody realities: Warfare in the middle ages, Ed. N. Christie & M. Yazigi, 1st ed. Brill: Leiden & Boston, 2006.

- Treadgold, Warren. Paying the army, in "Production and prosperity in the Theodosian period, Ed. I. Jacobs, 1st ed. Peeters: leuven- Walpole, 2014.

- Urbainczyk, Theresa. Socrates of Constantinople: Historian of Church and State, 1st ed. the University of Michigan press, 1997.

- Urbainczyk, Theresa. Theodoret of Cyrus: the bishop and the holy man, 1st ed. the university of Michigan press, 2007.

- Van Nuffelen, Peter. John of Antioch, inflated and deflated, or: How (not) to collect fragments of early byzantine historians, *Byzantion*, vol. 82, 2012.

- Van Nufflen, Peter. Olympiodorus of Thebes and eastern triumphalism, in "Theodosius II and his age, Ed. C. Kelly, 1st ed. Cambridge university press, 2013.

- Walsh, David. The Cult of Mithras in late antiquity: Development, decline and demise Ad. 270- 430, 1st ed. Brill: Leiden & Boston, 2019.

- Wijnendael, Jeroen. The last romans: Bonifatius- world comes Africae, 1st ed. Bloomsbury: U. K, 2016.

- William, Stephen. & Friell, Gerard. The empire at pay, Routledge: London, 1994.

- Wolfram, Herwig. History of the Goths, Trans. Thomas J. Dunlap, 1st ed. University of California press, Berkeley & Los Angeles, 1990.

- Zecchini, Giuseppe. Latin Historiography: Jerome, Orosius and the western chronicles, in "Greek & Roman Historiography in late antiquity 4th and 6th century A. D., ed. G. Marasco, 1st ed. Brill: Leiden & Boston, 2003.

- Ziche, Hartmut. Integrating late Roman cities, countryside, and trade, in: Ancient economies, modern methodologies, Ed. F. Bang et al., 1st ed. Edipuglia: Bari, 2006.